المشرق

السنة الثانية والخمسون

ت ٢ – ك ١ ١٩٥٨

هل الانشاء اللاواوي عربي محض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لقد وضعنا سنة ١٩٢٥ كلمة «لا واوي» بصفة نعت «للانشاء» الذي «لا» اداة عطف، كالواو والفاء وغيرهما، في اوائل كثير من جمله المستقلة، التي تفصلها نقطة عما قبلها. ذلك النعت ذاته يدل ايضاً على حذف حروف العطف بين افعال او موصوفات متتابعة او بين ما تكرر من حرف الجر عينه مع مجرورات مختلفة.

بعد ذلك الشرح الضروري نعيد سؤالنا: هل الانشاء اللاواوي عربي محض ام قشبه اعمى بانشاء كل اللغات الاوربية، ومن جملتها التركية، فلا نصيب له البتة من العروبة؟ نرجح ان اكثر قراء «المشرق» يجيبون بالنفي القسم الاول من ذلك السؤال، بدون ان يخامرهم ادنى شك في صحة رأيهم. اما نحن فنقول ان الانشاء اللاواوي عربي محض، مع كونه اقل شيوعاً من ضده، الامر الذي يتضح لكل ذي عينين.

سنبرهن على سداد رأينا بذكر عدد كبير من القطع اللاواوية ، بمعنى حذف ادوات العطف في اوائل كثير من الجمل المستقلة . قد اقتطفناها اولاً من القرآن ، وهو الذي حوّل لهجة قُريش ، دون غيرها من لهجات العرب ، الى اللغة العربية الفصحى الوحيدة ، التي انتشرت بسرعة رائعة في مشارق الارض ومغاربها ، بل اثّرت دون سواها من اشهر الالسن القديمة والحديثة ، في نحو مئة من لغات العالم ، كما اثبتنا بالادلة الدامغة في كتابنا « غرائب اللغة العربية » . ثم ذكرنا قِطعاً لاواوية اخرى ، بالمعنى المشار اليه ، وهي ثلاثة وعشرين من اشهر الادباء القدماء وعشرين من نوابغ رصفائهم المعاصرين ، بحيث لا يجسر احد جسارة معقولة على انكار عروبة الانشاء اللاواوي المحض ، منذ نشأة لغة الضاد الى ايامنا .

جعلنا بعد اسم كل اديب متوفى تاريخ وفاته بين قوسين ، وبذلنا الجهد لاختيار قطع لاواوية كاملة المعنى ، لذيذة الموضوع ، شديدة التنوع ، بقدر الامكان . وضعنا في اول بعضها او آخره ثلاث نقط تدل على اهمال ما قبلها او بعدها ، مما لا يوافق غايتنا . قد اشرنا بغاية الدقة الى مصدر كل قطعة ، ليسهل على القارئ تحقيق مطابقة نصها في هذه المقالة لاصلها .

القسم الاول

حذف حروف العطف في اوائل كثير من الجمل المستقلة

الفصل الاول : القرآن

١ من سورة طه (من الآية ٩٢ الى ١٠١)

قال : « يا هارون ، ما منعك ، اذ رأيتهم ضلّوا ، ألّا تتبعن ؟ افعصيت امري ؟ » قال : « يا ابن أُمّ ، لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ؛ اني خشيت ان تقول فرّقتَ بين بني اسرائيل ، ولم ترقب قولي . » قال : « فما خطبك ، يا سامري ؟ » قال : « بصُرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سوّلت لي نفسي . » قال : « فاذهب ، فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ، وان لك موعداً لن تُخلفه ، وانظر الى الهك الذي ظلتَ

« عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليمّ نسفاً . انما الهكم الله الذي لا اله إلا هو ؛ وسع كلّ شيء علماً . كذلك نقصّ عليك من انباء ما قد سبق ، وقد اتيناك من لدُنا ذكرًا . من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرًا .

٢ من سورة النمل (٢٣ الى ٣٥)

اني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزيّن لهم الشيطان اعمالهم ، فصدّهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يُخرج الخبء في السموات والارض ، ويعلم ما تُخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو ، رب العرش العظيم . قال : « سننظر اصدقتَ ام كنت من الكاذبين . إذهب بكتابي هذا ، فالقه اليهم ، ثم تولّ عنهم ، فانظر ماذا يرجعون . » قالت : « يا ايها الملأ ، اني أُلقي اليّ كتاب كريم . انه من سليمان ، وانه باسم الله الرحمن الرحيم ، الّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين . » قالت : « يا أيها الملأ ، أفتوني في امري ؛ ما كنت قاطعة امرًا حتى تشهدون . » قالوا : « نحن اولو قوة واولو بأس شديد ، والامر اليك ؛ فانظري ماذا تأمرين . » قالت : « ان الملوك اذا دخلوا قرية ، افسدوها وجعلوا اعزّة أهلها اذلّة ، وكذلك يفعلون . »

٣ من سورة ص (٧٥ الى النهاية)

قال : « يا ابليس ، ما منعك ان تسجد لما خلقتُ بيديّ ؟ أستكبرتَ ام كنت من العالين ؟ » قال : « انا خيرٌ منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين . » قال : « فأخرج منها ، فانك رجيم ، وان عليك لعنتي الى يوم الدين . » قال : « ربّ ؛ فأنظرني الى يوم يُبعثون . » قال : « فانك من المُنظَرين الى يوم الوقت المعلوم . » قال : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين الّا عبادك منهم المخلصين . » قال : « فالحقّ — والحقّ اقول — لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين . قُل ما اسألكم عليه من اجر ، وما انا من المتكلفين . إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ، ولتعلمُنّ نبأه بعد حين . »

٤ من سورة الشورى (١٧ الى ٢١)

الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ، وما يُدريك لعل الساعة قريب ؛

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها، ويعلمون انها الحق، الا انّ الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد. الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء، وهو القوي العزيز. من كان يريد حرث الآخرة، نزد له في حرثه؛ ومن كان يريد حرث الدنيا، نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب.

٥ من سورة الدخان (٣٨ الى ٥٦)

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما الّا بالحق، ولكن اكثرهم لا يعلمون. ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين، يومَ لا يُغني مولى عن مولى شيئاً، ولا هم يُنصرون إلا من رحمَ الله؛ انه هو العزيز الرحيم. ان شجرة الزقّوم طعام الاثيم؛ كالمُهل يغلي في البطون، كغلي الحميم. خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم، ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم. ذُق؛ انك انت العزيز الكريم. ان هذا ما كنتم به تمترون. ان المتقين في مقام امين في جنة وعيون؛ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين.

٦ من سورة الحجرات (١٥ الى النهاية)

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله، اولئك هم الصادقون. قُل اتعلّمون الله بدينكم، والله يعلم ما في السموات وما في الارض، والله بكل شيء عليم. يمنّون عليك أن اسلموا؛ قُل لا تمنّوا علي اسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان، ان كنتم صادقين. ان الله يعلم غيب السموات والارض، والله بصير بما تعملون.

٧ من سورة ق (٢٤ الى ٣٤)

ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد، مناّع للخير، مُعتدٍ مُريب، الذي جعل مع الله الهاً آخر؛ فالقياه في العذاب الشديد.

قال قرينه: «ربنا، ما اطغيتُه، ولكن كان في ضلال بعيد.» قال: «لا «تختصموا لديّ، وقد قدّمت اليكم بالوعيد. ما يبدّل القول لديّ، وما انا «بظلّام للعبيد. يومَ نقول لجهنم هل امتلأت، وتقول هل من مزيد، وأزلفت «الجنّة للمتّقين غير بعيد. هذا ما توعدون لكل اوّاب حفيظ، من خشي «الرحمنَ بالغيب وجاء بقلب مُنيب. أدخلوها بسلام؛ ذلك يوم الخلود. لهم

« ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم « بطشاً ؛ فنقبوا في البلاد هل من محيص . »

٨ . من سورة الذاريات (٨ الى ١٩)

انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك. قُتل الخرّاصون الذين هم في غمرة ساهون . يسألون أيّانَ يوم الدين ، يومَ هم على النار يُفتنون ؛ ذوقوا فتنتكم ؛ هذا الذي كنتم به تستعجلون . ان المتقين في جنّة وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم . انهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون . . .

٩ . من سورة الحديد (١ الى ٨)

سبح لله ما في السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والارض ، يُحيي ويُميت ، وهو على كل شيء قدير . هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ، ثم استوى على العرش . يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها ، وهو معكم اينما كنتم ، والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والارض ، والى الله ترجع الامور . يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، وهو عليم بذات الصدور . آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا ، لهم اجر كبير .

١٠ . فضلاً عن القطع المابقة ، نجد في القرآن امثلة عديدة جداً على الانشاء اللاواوي ، ومن جملتها ما في السوَر الآتية : مريم (٨٨ الى ٩٧) ، طه (١٠٣ الى ١١٢ ، ٤٤ الى ٥٣) ، الحج (٥٨ الى ٦٨) ، المؤمنون (٣٥ الى ٤١) ، النور (٤ الى ٤ ، ٣٣ الى ٣٧) ، الشعراء (١٢ الى ٣٨) ، القصص (٨٣ الى ٨٦) ، الروم (١ الى ٨) ، الاحزاب (١٦ الى ٢٢ ، ٦٠ الى ٦٦) ، سبأ (٦٦ الى ٥١) ، فاطر (٣٨ الى ٤٣) ، يس (١٥ الى ٢٧) ، الصافات (٥١ الى ٦٦) ، الزمر (٦ الى ١٧) ، غافر (١ الى ٦ ، ٦١ الى ٧٠) .

الفصل الثاني : بعض توابع الادباء القدماء

عبدالله بن المقفّع (٧٢٧)

من حكاية الحمامة والثعلب ومالك الحزين في كتاب « كليلة ودمنة » ، الذي عرّبه من اللغة البهلوية

. . . فقال له الثعلب : « يا مالك الحزين ، اذا اتتك الريح عن يمنك فاعن

تجعل رأسك ؟ » قال : « عن شمالي » . قال : « فاذا اتتك الريح عن شمالك ، فاين تجعل رأسك ؟ » قال : « اجعله عن يميني او خلفي . » قال : « فاذا اتتك الريح من كل مكان وكل ناحية ، فاين تجعله ؟ » قال : « اجعله تحت جناحي . » قال : « وكيف تستطيع ان تجعله تحت جناحك ؟ ما اراه يتهيأ لك . » قال : « بلى . » قال : « فأرني كيف تصنع . . . »

ابو عمرو اسحاق الشيباني (٨٢٢)

حكاية « ازهر وابي جعفر المنصور » في الجزء الثاني من « مجاني الادب » للاب لويس شيخو اليسوعي ، الصفحة ١٥٢

روى الشيباني قال : « كان ابو جعفر المنصور ايام بني امية اذا دخل ، دخل مستترًا . فكان يجلس في حلقة ازهرَ السمّان المحدّث . فلما افضت الخلافة اليه ، قدم عليه ازهر ، فرحّب به وقرّبه وقال له : « ما حاجتك ، يا ازهر ؟ » قال : « داري منهدمة ، وعليَّ اربعة آلاف درهم . » فوصله باثني عشر الفًا وقال : « قد قضينا حاجتك ، يا ازهر ، فلا تأتنا طالبًا . » فاخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة ، اتاه . فلما رآه ابو جعفر ، قال : « ما جاء بك ، يا ازهر ؟ » قال : « جئتك مسلّمًا . » قال : « قد امرنا لك باثني عشر الفًا ، واذهب فلا تأتنا طالبًا ولا مسلّمًا . » فأخذها ومضى . فلما كان بعد سنة ، اتاه . فقال : « ما جاء بك ، يا ازهر ؟ » قال : « اتيت عائدًا . » قال : « انه يقع في خلدي انك جئت طالبًا . » قال : « ما جئت الا عائدًا . » قال : « قد امرنا لك باثني عشر الفًا ، واذهب فلا تأتنا طالبًا ولا مسلّمًا ولا عائدًا . » فاخذها وانصرف . فلما مضت السنة ، اقبل . فقال له : « ما جاء بك ، يا ازهر ؟ » قال : « دعاء كنتُ اسمعك تدعو به ، يا امير المؤمنين ، جئتُ لاكتبه . فضحك ابو جعفر وقال : « انه دعاء غير مستجاب ، وذلك اني قد دعوت الله به ان لا اراك ، فلم « يستجب لي ، وقد امرنا لك باثني عشر الفًا ، وتعال متى شئت ، فقد اعيتني فيك الحيلة . »

عبد الملك الاصمعي (٨٢٨)

من اشهر لغوي العرب . القصة التالية في الجزء الرابع من « مجاني الادب » ، الصفحة ٢٤٨

وممّا جاء من اخبار البرامكة ما رواه الاصمعي ؛ قال : خرج الفضل للصيد

والقنص ، وبينما هو في موكبه ، اذ رأى اعرابياً على ناقة قد اقبل من صدر البرية ، يركض في سيره . قال : « هذا يقصدني ، فلا يكلمه احد غيري . » فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تُضرب والخيام تُنصب ، والعسكر الكثير والجم الغفير ، وسمع الزغاريد والضجة ، ظن انه امير المؤمنين . فنزل وعقل راحلته وتقدم اليه وقال : « السلام عليك ، يا امير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . » قال : « إخفض عليك ما تقول . » فقال : « السلام عليك ، ايها الامير . » قال : « الآن قاربتَ ، إجلس . » فجلس الاعرابي . فقال له الفضل : « من اين اقبلت ، يا اخا العرب ؟ » قال : « من قُضاعة . » قال : « من ادناها او من اقصاها ؟ » قال : « من اقصاها . » فقال : « يا اخا العرب ، « مثلك من يقصد من ثمانمئة فرسخ الى العراق لاي شيء ؟ » قال : « قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد . » قال : « من هم ؟ » قال : « البرامكة . » قال الفضل : « يا اخا العرب ، ان البرامكة خلق كثير ، وفيهم جليل وخطير ، ولكل « منهم خاصة وعامة . فهل افرزتَ لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك ؟ » قال : « اجل ، اطولهم باعاً واسمحهم كفّاً . » قال : « من هو ؟ » قال : « الفضل ابن يحيى بن خالد . »

ابن قتيبة الدَينوري (٨٨٩)

القطعة التالية في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٩١ .

حكي ان الحجّاج خرج في بعض الايام للتنزه ، فصرف عنه اصحابه وانفرد بنفسه ، فلاقى شيخاً من بني عِجل ، فقال له : « من اين انت ، يا شيخ ؟ » قال : « من هذه القرية . » قال : « ما رأيكم بحكام البلاد ؟ » قال : « كلهم اشرار يظلمون الناس ، فيختلسون اموالهم . » قال : « وما قولك في الحجّاج ؟ » قال : « هذا انجس الكل ، سوّد الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد . » فقال الحجاج : « تعرف من انا ؟ » قال : « لا والله . » قال : « انا الحجّاج . » قال : « انا فداك ، وانت تعرف من انا ؟ » قال : « لا . » قال : « انا زيد بن عامر ، مجنون بني عجل . أُصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة . » فضحك الحجاج واجازه .

ابو عُمر احمد بن عبد ربه (٩٤٠)

١ً من رواية « ابن كلدة عند كسرى » في الجزء الثالث من « مجاني الادب » :
الصفحة ١٨١

وفد ابن كلدة الثقفيّ على كسرى ، فانتصب بين يديه . فقال له كسرى : « من انت ؟ » فقال : « انا الحارث بن كلدة . » قال : « اعربيّ انتَ ؟ » « قال : « نعم ، ومن صميمها . » قال : « فما صناعتك ؟ » قال : « طبيب . » قال : « وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها ؟ » فقال : « ذلك اجدر ، ايها الملك ، اذا كانت بهذه الصفة ، ان « تحتاج الى ما يُصلح جهلها ويُقيم عِوَجها ويدوس ابدانها ويعدّل اسنانها . » قال الملك : « كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها ؟ لو عرفتِ الحق ، لم تُنسب الى الجهل . » قال الحارث : « ايها الملك ، ان الله — جلّ اسمه — قسّم العقول « بين العباد كما قسّم الارزاق ، واخذ القوم نصيبهم . . . »

٢ً حكاية الحجّاج والاعرابي ، في الجزء الثاني من مجاني الادب ، الصفحة ١٥ .

خرج الحجّاج ذات يوم ، فأصحر وحضر غداؤه ، فقال : « اطلبوا من يتغدى معنا . » فطلبوا فلم يجدوا الا اعرابيًا في شملة ، فأتوه به . قال له : « هلُمّ . » قال له : « قد دعاني من هو اكرم منك ، فاجبته . » قال : « ومن هو ؟ » « قال : « الله تبارك وتعالى دعاني الى الصيام ، فانا صائم . » قال : « صوم في مثل هذا اليوم على حرّ ؟ » قال : « صمت ليوم هو احرّ منه . » قال : « فأفطر « اليوم وتصوم غدًا . » قال : « او يضمن لي الامير ان اعيش الى غد ؟ » قال : « ليس ذلك اليّ . » قال : « فكيف تسألني عاجلًا بآجل ليس لي اليه سبيل ؟ » قال : « انه طعام طيب . » قال : « والله ما طيّبه خبّازك ولا طبّاخك ، ولكن طيّبته العافية . » قال الحجّاج : « تالله ما رأيت كاليوم ! »

ابو الحسن المسعودي (٩٥٦)

١ً الفقرة التالية في الصفحة ٤٤ من الكتاب (Cours gradué de traduction française arabe) للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

فدعا الامير بالطعام ثم قال لي : « صِف لي الطعام والشراب والطيب

والخيل . » قلت : « ايكون ذلك منثوراً او منظوماً ؟ » قال : « لا بل منثوراً . » قلت : « اطيب الطعام ما لقي الجوع بطعم وافق شهوة . » قال : « فما اطيب الشراب ؟ » قلت : « كأس مدام تبرّد بها غليلك وتعاطي بها خليلك . » قال : « فأيّ السماع افضل ؟ » قلت : « اوتار اربعة . » قال : « فأيّ الخيل افره ؟ » قلت : « الاشدق الاعين الذي اذا طُلب سبق ، واذا طلب لحق . » قال : « احسنت ، يا بشر ؛ اعطه مئة دينار . » قلت : « واين « تقع مني مئتا دينار ؟ » قال : « اوَقد زدتَ نفسك مئة دينار ؟ يا غلام ، اعطه « المئة كما ذكرنا ، والمئة الاخرى لحسن ظنه بنا . » .

٢ دونكم قطعة اخرى من رواية في الصفحة ٨٨ من الكتاب المشار اليه

قال المهدي[1] : « اتدري من انا ؟ » قال : « لا والله . » قال : « انا من خدم الخاصة . » قال : « بارك الله في موضعك وحيّاك من كنت . » ثم شرب الاعرابي قدحاً وسقاه . فلما شرب الثاني ، قال : « يا اعرابي ، اتدري من انا ؟ » قال : « نعم ؛ ذكرت انك من خدم الخاصة . » قال : « فلستُ كذلك . » قال : « فمن انت ؟ » قال : « انا احد قواد المهدي . » قال : « رُحبت دارك وطاب مزارك . » ثم شرب الاعرابي قدحاً وسقاه ؛ فلما شرب الثالث ، قال : « يا اعرابي ، اتدري من انا ؟ » قال : « نعم ؛ زعمتَ انك احد قواد المهدي . » قال : « فلستُ كذلك ؛ انا امير المؤمنين بنفسه . » فاخذ الاعرابي ركوته فوكاها ، فقال له المهدي : « إسقنا » قال : « لا والله ؛ لا تشرب منها جرعة « فما فوقها . » قال : « ولِمَ ؟ » قال : « سقيتك واحداً ، فزعمتَ انك من خدم « الخاصة ، فاحتملناها لك . ثم سقيناك آخر ، فزعمت انك احد قواد المهدي ، « فاحتملناها لك . ثم سقيناك ثالثاً ، فزعمت انك امير المؤمنين . لا ، والله ، « آمن ان اسقيك الرابعة ، فتقول : « انا رسول الله . » فضحك المهدي . . .

ابو الفرج الاصبهاني (٩٦٦)

١ هو مؤلف «الاغاني» . القطعة التالية في الجزء الاول من «مجاني الادب» ، الصفحة ١٠٣

قال هلال الرائي ، وهو هلال بن عطيّة ، لبشّار الشاعر ، وكان له صديقاً

١) قول الخليفة موجه لاعرابي اضافه في خيمته ، فاطعمه وسقاه من خير ما عنده .

يمازحه :« ان الله لم يُذهب بصر احد الا عوّضه بشي. ؟ فما عوّضك ؟ » قال : « الطويلَ العريض . » قال:« وما هذا ؟» قال :« ان لا اراك ولا امثالك من الثقلاء . »

٣ هذه قطعة اخرى للاصبهاني ، في الجزء السادس من «مجاني الادب » ، الصفحة ٢٩٤

قال ابن ابي بكرة :« لقيت الحُطَيئة بسذات عِرق ، فقلت له : « يا ابا ملكة ، من اشعر الناس ؟ » فاخرج لسانه كأنه حية ، ثم قال : « هذا اذا طبع . » وأخبر المدائني ، قال :« مر ابن الحمامة بالحطيئة ، وهو جالس بفنـاء بيته ، فقال :« السلام عليكم . » فقال :« قلتَ ما لا يُنكر . » قال :« اني خرجت من اهلي بغير زاد . » فقال :« ما ضمنتُ لاهلـك قِراك . » قال : « افتأذن لي ان آتي ظل بيتك ، فاتغيأ به ؟» قال:« دونك الجبل يغني عليك.» قال :« انا ابن الحمامة . » قال :« إنصرف وكُن ابن اي طائر شئت . »

بديع الزمان الهمذاني (١٠٠٧)

١ هو صاحب المقامات الشهيرة . هذه القطعة في الجزء السادس من « مجاني الادب » الصفحة ١١٤

فليكن الموت منكم على ذكر ، لئـلا تأتوا بنُكر . فانكم ان استشعرتموه ، لم تجمحوا ، ومتى ذكرتموه ، لم تمرحوا ؛ وان نسيتموه ، فهو ذاكركم ؛ وان كرهتموه ، فهو زائركم . قلنا :« فما حاجتك ؟ » قال:« اطول من ان تُحَد ، واكثر من ان تُعدّ . » قلنا :« فما نفعُ الوقت ؟ » قال:« رَدُّ فائت العمر ودفع نازل الامر .» قلنا : « ليس ذلك الينا ، ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها .» قال :« لا حاجة لي فيها .»

٢ قطعة من المقامة الفريضية ، في الجزء الخامس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٩٠

... فقلنا :« ما تقول في امرئ القيس ؟ » قال :« هو اول من وقف « بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكناتها . ووصف الخيل بصفاتها ، ولم « يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغباً ، ففضّل من تفتق للحيلة لسانه ، « وتنجّع للرغبة بنانه .» قلنا :« فما تقول في النابغة ؟ » قال : يثلب اذا حنق ،

« ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، ولا يرمي الا صائباً . » قلنا : « فما تقول في زُهير ؟ » قال : « يُذيب الشعرَ ، والشعر يذيبه ، ويدعو القولَ والسحر يجيبه . » قلنا : « فما تقول في طرَفة ؟ » قال : « هو ماء الاشعار وطينتها ، وكنز « القوافي ومدينتها . مات ولم تظهر اسرار دفائنه ، ولم تُفتح اغلاق خزائنه . » قلنا : « فما تقول في جرير والفرزدق ، وايهما اسبق ؟ » ...

ابو اسحق القيرواني (١٠٦١)

قطعة من « زهر الآداب » في الجزء الثالث من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣٠

لقي رجل حكيماً فقال : « كيف ترى الدهر ؟ » قال : « يُخلق الابدان ويُجدّد الآمال ويُقرّب المنيّة ويباعد الأُمنيّة . » قال : « فما حال اهله ؟ » قال : « من ظفر منهم لَغِب ، ومن فاته نصب . » قال : « فما يُغني عنه ؟ » قال : « قطع الرجاء منه . » قال : « فاي الاصحاب ابرّ واوفى ؟ » قال : « العمل الصالح والتقوى . » قال : « ايهم اضرّ واردى ؟ » قال : « النفس والهوى . » قال : « فاين المخرج ؟ » قال : « سلوك المنهج . »

ابن ابي الرندقة الطرطوشي (١٧٢٦)

قطعة من مقالته في كمالات الله تعالى ، في الجزء الثالث من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣

ان الله — عزّ وجلّ — لم يزل ولا يزال . هو الكبير المتعال ، خالق الاعيان والآثار ، ومكوّر النهار على الليل والليل على النهار ، العالم بالخفيّات وما تنطوي عليه الأرضون والسماوات . سواء عنده الجهر والإسرار ، ومن هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار . الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ؟ خلق الخلق بقدرته ، واحكمهم بعلمه ، وخصهم بمشيئته ، ودبرهم بحكمته . لم يكن له في خلقهم معين ، ولا في تدبيرهم مشير ولا ظهير . وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن ؟ لا تلزمه لِمَ ، ولا يُجاوره اين ، ولا تلاصقه حيث ، ولا تعدّه كم ، ولا تحصره متى ، ولا تُحيط به كيف ، ولا تُظهره قبل ، ولم تقته بعد ، ولم تجمعه كلّ وصفه لا صفة له ، وكونه لا امد له ، ولا تخالطه الاشكال والصور ، ولا تُغيّره الآثار والغِيَر ، ولا تجوز عليه المماسّة والمقاربة ، وتستحيل عليه المحاذاة

والمقابلة . إن قلتَ « اين هو ؟ » فقد سبق المكانَ وجوده . لم يفتقر وجوده الى اين . هو بعد خلق المكان غنيّ بنفسه ، كما كان قبل خلق المكان ؛ وكيف يحلّ في ما منه بدا ؟ . . .

٣ حكاية الملك وسائق الحمار ، في الجزء الثاني من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٥٠

مر بعض الملوك بغلام يسوق حمارًا غير منبعث ، وقد عُنف عليه في السوق ، فقال : « يا غلام ، أرفق به . » فقال الغلام : « ايها الملك ، في الرفق به مضرة عليه . » قال : « وما مضرته ؟ » قال : « يطول طريقه ويشتد جوعه ، وفي العُنف به احسان اليه . » قال : « وما الاحسان اليه ؟ » قال : « يخفّ حمله ويطول اكله . » قال فأعجب الملك بكلامه وقال له : « قد امرتُ لك بالف درهم . » فقال : « رزقٌ مقدور وواهب مأجور . » قال : « وقد امرتُ باثبات اسمك في جيشي . » فقال : « كُفيتُ مؤونةَ ورُزقت بها معونة . » قال : « لولا انك حديث السن ، لاستوزرتك . » قال : « لن يعدم الفضل من رُزق العقل . » قال : « فهل تصلُح لذلك ؟ » قال : « انما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها . » قال ، فاستوزره ، فوجده ذا رأي صائب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق .

ايليا الحديثي (١١٩٠)

هو بطريرك نسطوري مشهور ببلاغة مواعظه . هذه القطعة في الجزء السادس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣٥

اليوم قرّت شقاشق اشعيا النبي المجّد في الانبياء أن البتول الطاهرة تحبل وتلد اشرف الابناء . اليوم انفضّ الكوكب الضُحي في فلك آل يعقوب ، وفضّ بنوره اغساق الضلال من آفاق القلوب . اليوم نصلّ خضابُ الاضاليل ، اصحرت هضاب الاباطيل ، تناثرت اوراق الرذائل ، بدا الايراق في اغصان الفضائل . اليوم تبلجت اقمار الحقائق ، فُتحت الذخائر والكنوز ، نُضيت ستور الاسرار عن وجوه الامثال والرموز . اليوم تدكدكت اعران الضلال ، تبركت الاذهان بتلاد مفيد الكمال ، تنفس صباح السعادة والاقبال ، تسربلت جبلة آدم من فخر الولادة المسيحية اسنى حُلة وابهى سربال . اليوم اتجم سحاب العطايا ،

اتجم خباب الخطايا ، فُتحت خزائن المواهب ، مُنحت صوائن الاذخار لكل آتٍ وذاهب . اليوم سقطت اجنّة الطغيان ، لُبست جُنّة الغفران ، ظهرت سُنة الايمان ، تقهقرت الاكنّة عن القلوب والاذهان .

احمد الشريشي (١٢٢٢)

هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٠١

قال افلحُ التركي : « خرجنا مرة الى حرب لنا ، ومعنا رجل كان يقول : « انا اتمنى ان ارى الحرب كيف هي . » فاخرجناه معنا ، فاول سهم جاء وقع في رأسه . فلما انصرفنا ، دعونا له معالجاً ، فنظر اليه وقال : « إن خرج الزج ، وفيه شيء من دماغه ، مات ؛ وان لم يخرج عليه شيء من دماغه ، لم يكن عليه بأس . » فسبق فقبّل رأسه وقال : « بشّرك الله بخير ؛ إنزعه ، فما في رأسي دماغ . » فقال الطبيب : « وكيف ذلك ؟ » قال : « لو كان فيّ ذرة من دماغ ، ما كنتُ هنا . »

شهاب الدين السُهروردي (١٢٣٤)

قطعة من « عوارف المعارف » في الجزء الخامس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٤

. . . اجساد ارضية بقلوب سماوية ، واشباح فرشية بأرواح عرشية . نفوسهم في منازل الخدمة سيّارة ، وارواحهم في فضاء القرب طيّارة . مذاهبهم في المبرّة مشهورة ، واعلامهم في اقطار الارض منشورة . يقول الجاهل بهم « فُقدوا » ، وما فُقدوا ، ولكن سمت احوالهم فلم يدرَكوا ، وعلا مقامهم فلم يُملكوا ، كائنين بالجثمان ، بائنين بقلوبهم عن اوطان الحدثان . لارواحهم حول العرش تطواف ، ولقلوبهم من خزائن البر اسعاف . يتنعمون بالخدمة في الدياجر ، ويتلذذون من وهج الظبا بظمإ الهواجر . سلوا بالصلوات عن الشهوات ، وتعرضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات . يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان ، ويسمو على مكنون سرائرهم نضارة العرفان . لا يزال في كل عصر منهم علامون بالحق ، داعون للخلق . مُنحوا بحُسن المتابعة رتبة الدعوة ، وجُعلوا للمتقين قدوة ، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم ، وتزهر في الآفاق انوارهم . من اقتدى بهم اهتدى ، ومن انكرهم ضل واعتدى . . .

كمال الدين الحلبي (١٢٦٢)

هذه القطعة في الجزء الرابع من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٦٦

الكُتّاب عماد المُلك واركانه ، وعيونه المبصرة واعوانه ، وبهاء الدُول ونظامها ، ورؤوس الرئاسة وقوامها . ملابسهم فاخرة ، ومجالسهم باهرة ، وشمائلهم لطيفة ، ونفوسهم شريفة . مدار الحل والعقد عليهم ، ومرجع التصرف والتدبير اليهم . لهم تُحلّى العواطل ، وتبتسم ثغور المعاقل . مجالسهم بالفضائل معمورة ، وبنَدامهم اندية القُصّاد مغمورة . يُهدون الى الاسماع انواع البديع ، ويزهون الاحداق في حدائق التوشيح والترشيع . هم اهل البراعة واللسَن ، وشيمتهم لف القبيح ونشر الحسَن . يميلون الى القول بموجَب المدح ، ولا يملّون من مراجعة الراغبين في المنح . دأبهم استخدام الناس بالمعروف ، وعدم التورية عن المعاني والملهوف . يجلّون الكبير ، ويبجلون الصغير ، ولا يُخلون بمراعاة النظير . لهم الى الخير رجوع والتفات ، وبالجملة فقد حازوا جميع جميل الصفات .

الحسَن بن حبيب (١٣٧٧)

قطعة من كتابه « نسيم الصبا » في الجزء الخامس من « مجاني الادب » الصفحة ١٠٥ في تلك القطعة يمدح الشتاء ذاته .

... معروفي معروف ، وفيلي فيلي موصوف ، وثمار احساني دانية القطوف . كم لي من رابل طويل المدى ، وجَود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه ، وغيث قيّد العُفاة اطلاقه ، وديمة تُطرب السمع بصوتها ، وحيا يُحيي الارض بعد موتها ! ايامي وجيزة ، واوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة ، بذوي السيادة مغمورة بالخير والمبرّة والسعادة . نقلها يأتي من انواعه بالعجَب ، ومناقلها تسح بذهب اللهَب ، وراحها تنعش الارواح ، وتفتق العقول الصحاح . إن رُمتها ، وجدت ما لا ممدودًا ؛ وان زرتها ، شاهدت لها بنين شهودًا ...

ابن بطوطة (١٣٧٨)

القطعة التالية في الصفحة ١٧ من الكتاب Cours gradué de traduction française arabe للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

حكاية من مكارمه . حضرتُه يوم جمعة ، وقد خرج من الصلاة قاصدًا

الى داره ، فتعرض له احد الفقراء اليمنيين ، فقال له :«يا ابا المواهب .» فقال: « لبّيك ، يا فقير ؛ حاجتك ؟ » قال :« اعطني هذه الثياب التي عليك . » فقال له :« نعم اعطيكها . » قال :« الساعة » . قال . « نعم ، الساعة » .

احمد القلقشندي (١٤١٨)

القطعة التالية في الصفحة ١٤ من الكتاب (Cours gradué de traduction française arabe) للاب لامنس (Lammens) اليسوعي

اول من خطب على العصا وعلى الراحلة قُسّ بن ساعدة الايادي . اول من عمل المنبر تميم الداري ؛ عمله للنبي صلعم ، وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام. اول من خطب جالساً معاوية حين كثُر شحمه . اول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة .

ابو بكر ابن حُجة الحموي (١٤٣٣)

قطعة من رواية « اولاد نِزار عند الاعمى » ، مقتبسة من كتاب «ثمرات الاوراق» ، وهي في الجزء الثالث من «مجاني الادب» ، الصفحة ١٦٦ .

شخص مُضَر وربيعة وإياد واغار اولاد نِزار الى ارض نجران . فبينما هم يسيرون ، اذ رأى مضر كلأً قد رُعي ، فقال :« البعير الذي رعى هذا اعور .» فقال ربيعة :« وهو ازور . » قال إياد :« وهو ابتر . » وقال اغار : « وهو شرود . » فلم يسيروا الا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلة ، فسألهم عن البعير. فقال مضر :« اهو اعور ؟ » قال :« نعم . » قال ربيعة :« اهو ازور ؟ » قال : « نعم .» قال إياد :« اهو ابتر ؟ » قال :« نعم . » قال اغار :« اهو شرود؟ » قال :« نعم . » فقال :« هذه والله صفات بعيري ؛ دلوني عليه . » فحلفوا انهم ما رأوه . . .

احمد بن عربشاه (١٤٣٧)

هذه القطعة في الجزء الرابع من مجاني الادب ، الصفحة ٢١٧

انا رأس المفاريت المتمردين ، محل غضب رب العالمين . خُلقتُ من مارج من نار ، وطُبعت على القاء البوار والدمار . رجوم النجوم انما أُعدّت لاجلي ،

وعُتاة الغواة لا تصل رؤوسها الى مواطئ رجلي . الشياطين تستمدّ من زواخر مكري ، والزنديق يقتبس من ضمائر فكري . لم تمر قضية من الزمان الغابر إلا ولي شركة فيها ، ولا حدثت محنة لنبي ولا ولي إلا وانا متعاطيها . جدي ابليس ؛ نهض لجدي التعيس ، والى نحو آدم هوى ، فعصى ربه فغوى . وانا قضيت بالتسويل حتى قتل قابن هابيل . انا سوّلت لاولاد يعقوب ، وحاولت في قضية ايوب . . .

بهاء الدين الابشيهي (١٤٤٦)

١ هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٦٨

امر زياد بضرب عنق رجل ، فقال : « ايها الامير ، ان لي بك حُرمة . » قال : « وما هي ؟ » قال : « ان ابي جارك بالبصرة . » قال : « ومن ابوك ؟ » قال : « يا مولاي ، اني نسيت اسم نفسي ؛ فكيف لا انسى اسم ابي ؟ » فردّ زياد كمّه على فمه وضحك وعفا عنه .

٢ هذه القطعة الثانية في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٨٩

قيل ان رجلًا ادعى النبوءة في ايام احد الملوك . فلما حضر بين يديه ، قال له : « انت نبيّ ؟ » قال : « نعم . » قال : « والى من بُعثت ؟ » قال : « اليك . » قال : « اشهد انك سفيه احمق . » قال : « انما يُبعث لكل قوم مثالهم . » فضحك الملك وأمر له بشيء .

محمود دياب الاتليدي (اواخر القرن السادس عشر)

هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٧٠

قيل ان ابا دُلامة الشاعر كان واقفاً بين يدي السفّاح في بعض الايام ، فقال له الخليفة : « سلني حاجتك . » فقال له ابو دلامة : « اريد كلب صيد . » فقال : « اعطوه اياه . » فقال : « واريد دابة اتصيد عليها . » قال : « اعطوه اياها . » قال : « وغلاماً يقود الكلب ويصيد به . » قال : « اعطوه غلاماً . » قال : « وجارية تُصلح الصيد وتُطعمنا منه . » قال : « اعطوه جارية . » قال : « هؤلاء ، يا امير المؤمنين ، عبيدك ؛ فلا بد لهم من دار يسكنونها . » فقال : « اعطوه داراً

تجمعهم . » قال :« وان لم يكن لهم ضيعة ، فمن اين يعيشون ؟ » قال : « قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة . » قال :« وما الغامرة يا امير المؤمنين ؟ » قال :« ما لا نبات فيها . » قال :« قد اقطعتك ، يا امير المؤمنين ، مئة ضيعة غامرة من فيافي بني اسد . » فضحك منه وقال :« اجعلوها كلها عامرة . »

بهاء الدين العاملي (١٦٢١)

هذه القطعة في الجزء الرابع من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٦

يمسي وهمّه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر. يبيت حذرًا ويصبح فرحاً . حذرًا لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة . اذا استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب . قُرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى . يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل . تراه قريباً املُه ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه ، منزورًا اكله ، سهلاً امره ، حريزًا دينه ، ميتة شهوته ، مكظومًا غيظه . ان كان في الغافلين ، كُتب في الذاكرين ؛ وان كان في الذاكرين ، لم يُكتب من الغافلين . يعفو عمّن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدًا فُحشه ، ليّنا قولُه ، غائباً مُنكَره ، حاضرًا معروفه ، مُقبلاً خيره ، مُدبرًا شره . في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل ان يُشهد عليه ؛ لا يُضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر .

احمد القليوبي (١٦٥٩)

القطعة التالية في الصفحتين ٢٧ و ٢٨ من الكتاب Cours gradué de traduction française arabe للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

ركب خالد في يوم شديد البرد كثير الغيم ، فتعرض له رجل في الطريق ، فقال له :« ناشدتك الله ألا ما ضربت عنقي . » فقال له : « اكفرتَ بعد ايمان ؟ » قال :« لا . » قال : « ازنيت بعد احصان ؟ » قال :« لا . » قال : « افتزعت يدًا من طاعة الرحمن ؟ » قال : « لا . » قال :« اقتلت نفساً بغير تبيان ؟ » قال :« لا . » قال :« فما سبب ذلك ؟ » قال :« خصمٌ لجوج قد علق

بي ولزمني وقهرني . » قال :« من هو ؟ » قال : « الفقر . » قال : « فكم يكفيك ؟ » قال :« اربعة آلاف درهم . » ثم التفت لرفقائه وقال لهم : « هل ربح احد من التُجار كربحي اليوم ؟ » قالوا :« وكيف ذلك ؟ » قال :« عزمت على ان اعطي هذا الرجل ثلاثين الف درهم ؛ فلما طلب اربعة آلاف درهم ، توفر عليَّ ستة وعشرون الفاً . » فقال الرجل :« حاشاك وأعيذك بالله ان تربح على مؤمّلك . » فقال :« يا غلام ، اعطه ثلاثين الفاً . » ثم قال للرجل :« إقبض المال أمناً من خصمك ؛ ومتى عاد يعاندك ، إستنجد عليه بنا . »

٢ هذه الفطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٠٢

حُكي ان جحى قال ذات يوم لرجل ، وهذا الرجل جاره :« هل سمعت ، يا اخي ، البارحة صراخنا ؟ » فقال له :« نعم ؛ واي شيء نزل بكم ؟ » قال له :« سقط ثوبي من اعلى السطح الى الارض . » قال له : « واذا سقط ، ما الذي يضره ؟ » قال له : « يا احمق ، لو كنتُ فيه ، الست كنت انكسر واموت ؟ »

الفصل الثالث : بعض نوابغ الادباء المعاصرين

ابرهيم اليازجي (١٩٠٦)

هو احد ابناء نهضة اللغوية والادبية للغة الضاد في القرن التاسع عشر ، وهو الذي نفح تعريب اليسوعيين لاسفار العهد القديم . هاكم نص المزمور الخمسين بعد تنقيحه اياه . نجد مثل هذا الانشاء اللاوي في المزامير ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ الخ .

ارحمني ، يا الله ، بحسب رحمتك ، وبحسب كثرة رأفتك ، أمحُ مخالفتي . زدني غسلاً من إثمي ، وطهّرني من خطيئتي ، فاني عارف بمعاصيَّ وخطيئتي امامي في كل حين . اليك وحدك خطئت ، وامام عينيك صنعت الشر ، لكي تعدل في كلامك ، وتزكو في قضائك . اني في الاثم وُلدت ، وفي الخطيئة حبلت بي امي . انك احببت الحق في الافئدة ، وفي الخفية اعلمتني الحكمة . تنضحني بالزوفى فاطهُر ، تغسلني فأبيضّ اكثر من الثلج . تُسمعني سروراً وفرحاً ، فتبتهج العظام التي هشمتها . أحجب وجهك عن خطاياي ، وامح جميع آثامي . قلباً طاهراً

اخلق فيَّ ، يا الله ، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي. لا تطرحني من امام وجهك ، ولا تنزع مني روحك القدوس. أردد لي سرور خلاصك ، فيعضدني روح نشيط. اعلّم العُصاة طُرقك ، فيرجع اليك الخطأة. انقذني من الدماء ، يا الله اله خلاصي ، فيرنّم لساني ببرك . ايها السيد ، افتح شفتيَّ ، فيخبر فمي بتسبحتك ، فانك لا تبتغي ذبيحة فابذل ، ولا ترتضي بمُحرقة ؛ انما ذبائح الله روح منكسر. القلب المنكسر المنسحق لا ترذله ، يا الله . أحسن برضاك الى صهيون ، وابني اسوار اورشليم . حينئذ ترضى بذبائح البرّ ، بالمحرقة والتقدمة التامة ؛ حينئذ يقرّبون على مذابحك العجول .

٣ هذه قطعة من الفصل الاول من « مراثي ارميا » (من الآية ١٢ الى ١٩) ، بعد تنقيح ابرهيم اليازجي اياها . كل انشاء تلك المراثي لاواوي

الم يبلغكم ، يا جميع عابري الطريق ؟ تأملوا وانظروا هل من وجع كوجعي الذي اصابني ، الذي اعتنى به الرب في يوم اضطرام غضبه . من العلاء ارسل نارا الى عظامي ، فسرَت فيها . بسط شرَكاً لرجليَّ ، فردّني الى الوراء. جعلني مستوحشة وانية كل النهار . شدّ نير معاصيَّ بيده ، فاحتبكت وتثلّت على عنقي . اسقط قوّتي ، جعلني السيد في ايدٍ لا استطيع معها القيام . رفع السيد من داخلي جميع اقوياني ، دعا عليَّ فئةً ليحطّم شُبّاني . داس السيد المعصرة على العذراء بنت صهيون ؛ على هذه انا باكية ، وعيناي تهملان بالماء ، اذ قد ابتعد عني كل معزٍّ يردُّ نفسي . بنيَّ هلكوا لان العدو قد غلب. بسطت صهيون يديها ، ولا معزي لها . اقام الرب على يعقوب من حوله مضايقين له ؛ صارت اورشليم بينهم كطامث . عادلٌ الرب ، لاني عصيت امره . اسمعوا ، يا جميع الشعوب ، وانظروا وجعي ؛ عذاراي وشبّاني مضوا الى الجلاء . . .

ولي الدين يكن (١٩٢١)

من القطعة « امام مهدها »[1] في جزء حزيران ١٩١٣ من مجلة « الزهور » الصفحة ١٧٤

اعددتكِ ذخرًا ، واذا بك مسلوبة ! ظننتك لي ، فاذا بك للثرى ! لهفي عليك ، اذ تذهبين ، ولم ترَي من سطوري ما يكون لك عظة من بعدي ! بل

١) معنى هذا العنوان : امام مهد بنتهِ الصغيرة المحتضَرة .

لهفي عليّ ، اذ استندي عيون النيرات بجراع ارتجله ، وانا اطلب اليوم فيك كلام الرثاء ، فلا تسامحني المعاني ! إن يُخطئك الجمام — وهيهات ؛ ما افلته فاعلاً ! — فقد ابقى لي الدهر املاً كاد يُزمع الرحيل . وان يأخذك ، كما اخذ اجدادك وجدّاتك من قبلُ ، فقد اسرعتِ في قطع طريق يتظالع في قطعها الخلائق . اتيتِ نقيّة ، وتذهبين نقيّة ، كقطرة الطل على ورقة من الورد ؛ تلمع بُكرةً ولا تلبث ان تستطار بخاراً .

بين نوحات الثاكلات وترجيع الحمائم بالأسحار ، وبكاء السماء وابتسام الارض ، تضادٌ يُغيظ الموجَع . لا اشكو بثي فيك ، ولكني استبقيه ، لاعتصر منه ذوب الشجون ، ولاخاطب به نفسي ناصحة ، كلما غلبت عليها غفلات هذه الدار ، وكادت تكون لها فتنة . لا استطيع دفعاً لشيء يسوقه المقدور ، ولكني وفيّ ، اضمن لك الا يلتام جرح يؤلمك هذا ! تزولين انت ، وتبقى ذكراك ! كذاك الحياة ؛ تزول الهيولى وتبقى الصُوَر !

محمد تيمور (١٩٢١)

نموذج من انشائه اللاواري في كتابه «الشيخ جمعة واقاصيص اخرى» ، الصفحة ٧٠

الاول يُدعى فكري بك . شابٌ قصير القامة ... له عينان صغيرتان ... يدّعي الجمال والحفّة ... اذا دخل في حديقة ... والثاني يدعى كامل بك . فتى رشيق ... ليس له مشتهى ... هو نموذج صادق ... لا ينقطع يوم واحداً ... يقضي الصيف في عمل تجارب الصيف ... يجيد ركوب السيارات ...

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٩٢٤)

من قطعة «الصياد» في الطبعة الرابعة من الجزء الاول من «النظرات» ، الصفحة ٢٢٣

قلتُ : «وهل تعد نفسك سعيداً ؟» قال : «نعم ، لاني قانع برزقي ، مغتبط بعيشي ، لا احزن على فائت من العيش ، ولا تذهب نفسي حسرةً وراء مطمع من المطامع ؛ فمن ايّ باب يتخلل الشقاء الى قلبي ؟» قلتُ : «ايها الرجل ، اين يُذهب بك ؟ ما ارى الا انك شيخ قد اختُلس عقله ؛ كيف تعدّ نفسك «سعيداً» ، وانت حافٍ غير منتعل وعارٍ الا قليلاً من الاسمال البالية والاطمار السحيقة ؟» قال : «ان كانت السعادة لذة النفس وراحتها ، وكان الشقاء الما

« وعناءها ، فانا سعيد لاني لا احد في رفاقة ملبسي ولا في خشونة عيشي ما يولد « لي المآ او يسبب لي هما ؛ وان كانت السعادة عندكم امرًا وراء ذلك ، فانا لا « افهمها الا كذلك . » قلتُ : « الا يُحزنك النظر الى الاغنياء في اثاثهم « ورياشهم وقصورهم ومراكبهم وخدمهم وحولهم ومطعمهم ومشربهم ؟ الا « يُحزنك هذا الفرق العظيم بين حالتك وحالتهم ؟ » قال : « انما يصغر جميع « هذه المناظر في عيني ويهونها عندي اني لا اجد اصحابها قد نالوا من السعادة « بوجدانها اكثر مما نلته بفقدانها . . . »

الاب لويس شيخو اليسوعي (١٩٢٧)

لا يخلو انشاؤه من بعض الفقر اللاواوية ، كما ترى في الصفحة ١٠١٤ من مجلد مجلة « المشرق » لسنة ١٩٢٢ : « لكن هناك مشاكل جديدة نجمت اليوم « بتغيير احوال البلاد . خلعت الاقطار العربية النير التركي . أنشئت الدول « العربية . دخلت بعض الاصقاع في حكم الانتداب . . . الخ . »

مصطفى صادق الرافعي (١٩٣٧)

من مقاله « بين خروفين » المدرجة في كتاب « القراءة الطريفة للصف الخامس » الذي نشره حضرة الناظر : الطبعة الاولى ، الصفحة ٩٢

. . . فقال له الكبش : « اراك وزهاً ، يا ابن اخي ، كأنك لا تجد ما اجد ؛ اني لأحسّ ان القدر مصحفة : لا من ذلك بدّ . » قال الصغير : « اتعني الذئب ؟ » قال : « ليته هو ! فأنا منه على ما ترى ؛ انه الذئب . ان صوفي هذا درع « من اظافره ، وقرني هذين ترس وزرد . » قال الصغير : « فماذا تخاف بعد الذئب ؟ اتخشى العصا ؟ » قال الكبش : « انك لو علمتَ ما اعلم ، لما اطمأنت بك الارض ولرجعت من القلق كحبة القمح في غربال يبتر وينتفض . » قال الصغير : « اتعني ما كان في القرية . . . »

فليكس فارس (١٩٣٩)

من « وقفة في قلعة يعبك » في المجموعة « اطيب الثمر » للاب لويس شيخو اليسوعي ، الصفحة ٥٥

أدخل بنفسي تحب ان تجد خالقها ، لدى آثار الزوال الكاتبة على العفر :

«وهو الباقي!» ادخل بقلب خفّاق ونفس تريد ان تشعر؛ فاقف امام الخرائب، كالحياة المتجددة امام الموت الشامل. امرّ امامها كرور الاجيال امام هيكل الحب، الذي اخلقته الايام ولم تدمّره.

اتأمل في كل سرداب وباحة ورُواق، فلا افتكر بطول هذه ولا بطول تلك، بل اقابل ما بين هذا البنيان والطبيعة الجامدة؛ اقابل بينه وبين الجبال والامواه والاشجار. اقيس بقياس التأمل بين كلمة الخلق ومحاولة البشر. اقابل هذه الضخامة بحقارة من شيدها وزال، فأستخرج من ذلك قياساً تفهمه النفس، ولا يعرف ماهيّته الا القلائل.

امامي ابنية يتصدع العقل لدى ما بقي منها تائماً، وينقبض القلب لدى بقاياها المبعثرة على الارض، وهي اشبه باشلاء اموات، ممدّدة شاخصة الى الاكوان، كأنها لا تريد ان تفنى. هذا اعمدة قائمة، وقد سقط رُواقها المديد، كأن السماء، التي اصبحت سقفها الوحيد، تغار على ما مرّت عليه القرون، أن يظلّل بغير اثيرها الفسيح. لا تريد السماء ان يغطي سواها ارضاً مرّت عليها القرون، فلم تعد مختصة بزمان وشعب...

امين الريحاني (١٩٤٠)

١ً قطعة من كتابه «فيصل الاول» الصفحة ٧٥

وعدتم البلاد في حفلة التتويج بحكومة نيابية دستورية، وها قد مرّت السنة بكاملها، والحكومة لا تُعرف ادستورية هي ام انتدابية ام ملكية مطلقة. ان البلاد تشكو السياسة البريطانية المسترشدة ببدإ «فرّق تسُد»، الهادمة لآمالنا القومية والوطنية كلها. ان البلاد مهدّدة بالانتداب، والانتداب خطر على الحرية والاستقلال. لقد اسقطنا الوزارة التي عيّنها البريطانيون، وجئنا نطلب وزارة وطنية صادقة، يعيّنها مليك البلاد. اننا نؤيد العرش ونرفض الانتداب، ونطلب ان تحدّد السلطة البريطانية في الدوائر الادارية كلها...

٢ً قطعة اخرى من الكتاب المذكور، الصفحة ٨٥

... وهاك الحديث من مذكراتي: «لو رحت ابحث اليوم عن حليف للعراق، فاين اجده؟ في فرنسة؟ الفرنسيس اعدائي. في تركية؟ ما انتهت

الحرب بيننا وبين الاتراك . في العجم؟ ابن حكومة العجم تريد بتاعبنا وعشاكلنا في تدخلها بشؤون اهل الشيعة في العراق . ابن اجد الحليف ؟ في نجد ؟ لا تزال خطة ابن سعود حربية اكثر منها سلمية ، وفيها الخطر عليه وعلينا سواء . افلا ترى اننا محاطون بالاعداء ، ولا اصدقاء لنا غير الانكليز ؟ هي الحقيقة ، يا اخي ؛ واذا اعترفتُ بها وقبلتها وعالجتها بالتي هي احسن ، قالوا اني اميلُ الانكليز واخدم سياستهم .

والانكليز ؟ العياذ بالله . عاد الى وعدي المستر تشرشل واستطرد قائلاً : « وهم يطلبون مني ان اوقع معاهدة لا تمكنني من تأسيس حكومة وطنية قوية ، ولا تمكنني لذلك من القيام بتعهداتنا . خذ الجيش مثلاً . نحن نبغي جيشا وطنياً ، ولا احد يتطوع ، وفي البلاد انتداب . والبرهان بسيط ؛ يقول العراقيون : « اذا كان الانكليز مقيمين في العراق ، فليدافعوا عنه بجيوشهم » هذا حق ، بل هذا منطق ؛ والانكليز كثيراً ما يؤثرون المنطق على الحق . . .

٣ قطعة ثالثة من الكتاب ذاته ، الصفحة ١٠٤

فزع الملك وفزع العميد الى السعدون . توحدت قوات البلاط والمفوضية والحكومة على المعارضة ، ففتت في اساعدها ، وما تمكنت من القضاء عليها . قد استمرت الحال هذه سنة كاملة ، سقطت خلالها وزارة السعدون . فجاء جعفر باشا العسكري بامر ملكي يستأنف الجهاد ، جهاد المعارضين بانتخاب المجلس ، لانه كما ادعوا ، سيسن قانوناً يتضمن الاعتراف بالمعاهدة . مضت وزارة جعفر في سبيلها . . .

٤ قطعة رابعة من الكتاب عينه ، الصفحة ١٢٦

علت وزارات وهوت في بغداد . انهزم المحافظون ، وفاز العمال في حومة الانتخابات بلندن . مزقت السياسة كتباً من تقاليد الجدود ، وضحّت بكتائب من جيش التعقر والجمود . قضى عميد في النضال ، وانتحر وزير بإبان القتال . ذُللت عقبات وجُددت خصومات ، وكل ذلك في اثناء سنة واحدة . . .

٥ نجد امثلة كثيرة بثيرة من ذلك الانشاء اللاواوي في كتابه الشهير « ملوك العرب »

الخوري مارون غصن (١٩٤٠).

قد اشتهر بعروبة انشائه ، والحال ان عبارته لاواوية محضة في كل روايته « دفاع الابن عن شرف ابيه » .

مي زياده (١٩٤١)

١ً من المقالة « انا والطفل » ، في الكتاب « ظلمات واشعة » ، الصفحة ٤

نظرتُ في جميع هذه الملامح متمعنة، فقلت للطفل: « من اين أتيت بعينيك، يا روبرت ، ومن اعطاك زرقتها ؟ » اجاب ولم يفهم غير كلمتي « من اعطاك »: « ماما . » قلت « قرّت عينا امك بك ! واي عمل يعمل ابوك ؟ » قال ولثغاته اللطيفة تتدحرج على لسانه متعثرةً بشفتيه: « بابا ضابط ، وانا عسكري مثل بابا . » قلت: « انت جميل وانا احبك ، يا روبرت ؛ هات يدك » . قال: « نعم . . . »

٢ً من خطاب « الاحداث » في الكتاب « كلمات واشارات » ، طبعة سنة ١٩٢٢ ، الصفحة ٣٠

. . . كذلك عاطفة الاخوّة لا تكون اخوة حقيقية الا اذا خرجت من حيّز الشعور الى حيّز العمل. تتفجر عذوبتها على ذُرى الاجتماع ، وتجري نهرًا كريمًا بين طبقات المجتمع ، فتُلقي بين المتناظرين سلامًا ، وبين المتدينين تساهلًا . وتنقش بحامد الناس على النحاس ، اما العيوب فتخطها على صفحة الماء . تساعد المحتاج ما استطاعت ، بلا تفريق بين المحمدي والعيسوي والموسوي والدهري. ترفع المسكين من بؤس الفاقة ، وتنشر على الجاهل اشعة العلم والعرفان، وتفتح ابواب الرجاء امام اليائسين الذين اظلمتها احزان الليالي . . .

الاب لويس معلوف اليسوعي (١٩٤٦)

١ً هذه الفقرة من كتابه « رياضة روحية للكهنة » ، الصفحة ٧٧

ماذا نجهل ؟ نجهل هل يكون الموت لنا سبب تعزية او سبب يأس وقنوط، داعي فرح او داعي حزن ووجع . ذلك يتعلق بعيشتنا في هذه الحياة . لست اعرف هل تفتح يد الموت في وجهي ابواب النعيم ام ابواب الجحيم . ذلك

يكون ربّما حسب ما تكون هذه الرياضة الحاضرة . لسنا نعرف ان كنا نموت في حالة النعمة ام في حالة الخطيئة ؛ ولكن نعلم ان الموت في اكثر الاحيان يكون صدى الحياة . كما نعيش هكذا نموت . تلك سُنّة تتحقق في معظم الاوقات . اطلب من الله ، بشفاعة القديس يوسف ، ميتة صالحة ممزيّة كميته ، بين ايدي يسوع ومريم .

٢ هذه القطعة الثانية من الكتاب ذاته ، الصفحة ٨٤

قد يموت بعد مرض قصير المدة . يموت بعد ايام قليلة ، تتنازعه فيها اوجاع المرض وعوامل الاضطراب والمشاغل المادية . يستغرق افكاره السعي والاهتمام في استعادة الصحة والشفاء من المرض . قد ينصحونه بان يعترف . . . قضي الامر وفاضت نفسه ، ومثلت امام الديّان . ان نصيبه جهنم الى الابد .

٣ هذه القطعة الثالثة من الكتاب ذاته ، الصفحة ١٠٢.

قد ندم[1] وكانت ندامته سريعة . بادر واتبع حركة النعمة ، دون تردد ، وهجر اسباب الخطيئة . كان يسوع ماراً في رواق الدار ، فنظر الى بطرس ، وبطرس نظر الى يسوع . ما اقوى مفعول تبادل هذا النظر بين المعلم وتلميذه ! فهمَ بطرس وتذكر كلام الرب : « قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . » امتلأ قلبه ندماً ، وفي الحال خرج من الدار وابتعد عنها . لم يفكر في ان يبقى بين الخدم ، فلربما تساعده الاحوال على التمويض عمّا جرى ، فيكذّب ما قال ، ويُزيل ما سبّبه من شكوك . قد يكون في ذلك اغلب الاحيان غرور وضلال ، يحبّبه لنا حبّ الذات . قبل كل شيء يجب ترك السبب . اما التعويض فيمكن ان يتم فيما بعد ، في وقت مناسب . من لا يترك في الحال السبب الذي يستطيع تركه تركاً تامّاً ، مهما صعُب عليه الامر ، يدل على ان ندامته غير صادقة .

---

١) الكلام هنا على ندامة القديس بطرس ، عامة الرسل ، بعد انكاره المثلث للسيد المسيح .

* هذه فقرة من مقالة نشرها الاب مخلوف في جزء ٤ نيسان ١٩٣٩ من جريدة « البشير » التي ادارها ثلاثين عاماً

قام المسيح حقًا ، فقام معه كل صديق وبارّ . قام معه كل من كان للخطيئة اسيرًا . حطّم سلاسل الجحيم . طحن كلاليب الاثم والكفر . ملأ العالم رحمةً ونعمةً وحناناً ، بعد ان كان مملوءا فسقًا وبربريةً وقساوةً . ان الطبيعة نفسها تشارك الارض والسماء في افراحها بالقيامة ، فكأنها تقوم من موتها متهللةً بقيامة المسيح خالقها . اورقت الاشجار ، نبت العشب والزهر ، طاب الهواء ، نبعت العيون غزيرة ، غنّت الطيور مودعةً البرد والشتاء ، ومستبشرةً بقدوم الحرارة والحرية . فرحَ الانسان نفساً وجسدًا ، انتعش بالشمس والنور والضياء . صارت الدنيا كأنها عروس تجملت وتزينت لعريسها .

انطون الجميل باشا (١٩٤٧)

من « تحية العلَم الوطني » في مجموعة « نفثات الكتّاب » ، طبعة سنة ١٩٣٦ ، الصفحة ٨٥

هناك انفتحت فوهة النار ، فرأى الجندي فيها الموت الزؤام ، وهو سائر ، بل طائر ، الى النصر او الى الهلاك ! نظر نظرة اخيرة الى علَم الوطن ، وتمنى ان يكون له الكفن ، وزأر كالاسد الضرغام !

الف سلام عليك ، يا علَم بلادي ! الى الامام ! في ميدان القتال تساقطت الابطال حول العلم ، كما يتساقط في الخريف ورق الشجر ! جريح طريح على الارض ، مبضّع الاعضاء ، مضرّج بالدماء ، تضم يده الواحدة جرحه ، من حيث تخرج حياته مع دمه ، ويده الاخرى مرتفعة نحو السماء ، تطلب الاغاثة . ينن ويئوح ، ولا مغيث ولا معين ! لا يسمع سوى زفرات تتصاعد من صدور تتلظى كصدره ، وتنهدات تخرج من احشاء تتقطع كاحشائه !

تتجه افكاره الى منزل بعيد ، غادر فيه حليلة محبوبة ، تترمل بفقده ، واطفالاً صغارًا تتيتم بموته . تسيل من عينيه دمعتان ، فتحرق منه المآقي . يشعر بقشعريرة ، ترجف اعضاؤه . يتراءى له كل شيء مصبوغاً بالدم ! يدوي في اذنيه صوت رهيب ، يرفع رأسه الملتهب ، تبرق عيناه ، فتخرقان الظلام المتلبد ، ويلوح

له علّم الوطن في ليل الموت ، كالنجم المضيء ، فيلفظ مع روحه هذه الكلمات: « عليك سلامي الاخير ، يا علم البلاد ! »

الياس ابي شبكه (١٩٤٧)

انشاؤه لاواوي بحت في كل فصول كتابه « طاقات زهور » .

امين تقي الدين (١٩٤٧)

عبارته لاواوية في مقالته « يوميتي » المنشورة في الجزء الاول لسنة ١٩٢٩ من المجلة « رسالة السلام » .

ميخائيل نعيمه

في مقالاته عدة امثلة على الانشاء اللاواوي ؛ قد كتب في الصفحة ١٥٨ من « مجموعة الرابطة القلمية » لسنة ١٩٢١ : « . . . حول جميلة تدور افكارهم. « لاجلها يتعبون ولاجلها يعيشون . اذا ضحكت ، ضحكوا . . . الخ . »

نجد مثل ذلك الانشاء في الصفحات ١٦٨، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩ .

فيليب حتي

من المقالة « بين الرأي والواقع » في جزء « السائح » المنار لسنة ١٩٢٧ ، الصفحة ٥٥

امامي مقال لكاتب عربي من الطراز السوري ، يصفه تشرمة له بانه « في طليعة كتّابنا النابهين البلغاء » . عنوان المقال هو « الحياة الاقتصادية في سورية وفلسطين » . ما اهم هذا العنوان وما الذه ! أحر به ان يكون عنوانا لمجلد ضخم ؛ ولكن لا بأس ؛ علي اليوم محاضرة في مجتمع اميركي عن الاحوال الحاضرة في سورية ؛ فربما استقيت من هذا المصدر آخر كلمة في احوال البلاد الاقتصادية . نبدأ بالقراءة ؛ فاذا نجد ؟ نتوقع ان نعثر على كلمات من هذا النوع: الانتاج والاستهلاك ومقدارهما ، الوارد والصادر والمقابلة بينهما . طرق الزراعة والصناعة الحديثة ، اساليب الري ، تقادير الجمارك ، تقارير الحكومات ، حركة الاصطياف ، المهاجرة ، الخ ، الخ .

ولكن « ما هو عيب » ؛ كلمات معكوكة في معمل كهذا لا يتناول كاتب معدود من « اكبر المفكرين » لاستعمالها ومعالجتها . اذا كان هو

« مفكراً » ، فتفكيره يقضي عليه ان يستنبط من دماغه مادته ، لا ان يستقيها من مصادرها ! هو يعالج موضوعه على طريق الشعور ، على طريق القلب ، لا على طريق العقل والكتب ؛ وإلا فكيف استحق لقب «المفكر المنشئ البليغ» ؟ هو يصوغ الكلمات وينتق التعابير ، ويندب سوء حظ البلاد ويستوفي الدموع ، ويترك القارئ في آخر المقال اقل حكمةً مما كان في اوله ! صاحبنا يرثي ؟ يصوّر الاسد من ذهنه !

محمود تيمور

١ً قطعة من كتاب « الاطلال » ، الصفحة ١٣٤

لقد نشأتُ واياها في منزل واحد . واحببتها بعضنا بعضا اطفالاً وصباناً وشباناً . لقد كانت تحبني حباً عظيماً . كنت اقرأ ذلك في عينيها ، وكنت اراه مرتسماً على محياها . لم تكن تغشني في ذلك الحين ابداً ، بل كان كل شيء فيها ينطق بالصراحة والاخلاص . هذا ما كان منها قبل الزواج . وكنت انا لا اقل عنها محبةً واخلاصاً . كنت ارى فيها كل آمالي واحلامي . كانت هي كل دنياي . لا اعبأ بشيء خلافها في هذه الحياة . وكان الزواج ؟ ويا ليته لم يتم ! كان بداية تعسي ومذلتي . لم اكد ابدأ بتذوق نعيمي معها حتى انقلبت شيئاً فشيئاً من حمامة وديعة الى غرة مفترسة . وكنت اذا اردت التماس محبتها القديمة لي ، وجدتُ مكانها قسوة غريبة . يا للعجب ! كانت تُذلني وكنت اقبل مذلتها صاغراً ، ولم اكن افكر الا في رضائها .

٢ً قطعة ثانية من الكتاب المذكور ، الصفحة ١٣٦

ولكني ما زلت احبها ، بل ما زال حبي لها يتزايد في قلبي يوماً بعد يوم . انه مشرَّب بدمي . اصبح جزءاً من لحمي وقطعة من روحي . ليست بشراً هذه المرأة . انها جنّية تبعث في قلبك الرهبة والرغبة . اذا نظرت اليها استطعت ان ترى ما هو خلفها . انها شفّافة ، مصنوعةٌ من البلور والنور . واذا خطرت بجانبك ، شعرتَ بهبّة لطيفة مسكرة . انها نفحة من نسمات الربيع . ليست بشراً هذه المرأة . انها الهة متربعة على عرشها ، يعبدها الناس ويسبّحون بحمدها خاشعين . وانا من اكون ؟ زوجها ؟ يا للوقاحة ! يا للسبة الفظيعة ! قطعة دنيئة

من الظلام تريد ان تعلو بجانب ذلك النور العظيم ، الذي يملأ الابدية كلها . . .

٣ً قطعة ثالثة من الكتاب ذاته ، الصفحة ١٤٢

الشيخ مبروك من اعيان مديرية البحيرة رجل متيسر يعيش مع عائلته ومواشيه في عزبته الصغيرة عيشة لا غبار عليها . يبلغ من العمر الخامسة والخمسين . تمتلئ الجسم بقامة قصيرة ورجه مفرطح . اذا سار تدحرج ككرة القدم ، لا تكاد تتبين رأسه من رجليه . واذا تكلم اعوزته الحيلة ، فتلعثم وتهته مرتبكاً . معروف بين سكان البلدة بالقزم القصير . . .

٤ً فقرة من كتابه « ابو علي عامل ارتست وقصص اخرى » ، الصفحة ٥٨

لا تكن عبيطاً وتشترك في مشروع الكازينو . كله كلام فاوغ . منذ خمس عشرة سنة وزوجي يعيش في مشاريع وهمية ، لا يكسب من ورائها بارة واحدة . ان اولاد الحرام يضحكون على عقله وينهبونه .

٥ً هذه الفقرة من الكتاب المذكور ، الصفحة ٦١

ستحضر الليلة عندي في المنزل . كل شيء سيكون معداً لنا . ستدخل من النافذة المفتوحة المطل عليها منديل . اياك ان تتأخر عن الحادية عشرة .

٦ً هذه الفقرة من الكتاب ذاته ، الصفحة ٧٠

شاهدتها مرات قليلة ، وانا اتناول الطعام على مائدته ، اذ كانت تقوم على خدمتنا اثناء الاكل . فتاة متوسطة القامة ، عادية الملامح واللون ، خالية من كل رشاقة وزينة ، لا يميزها الا شيئان يشاهدان دائماً عند كل فتاة في سنها : دنوها من النضوج الجثماني والتفتح الجنسي . تدل حركاتها الساذجة وما ينبعث من هيئتها من مظاهر الجبن والاضطراب ، على ما تعانيه من حياة كلها قسوة واستبداد . يعاملها ابوها معاملة شاذة لا تتفق وطبيعة قلبه .

٧ً هذه الفقرة من الكتاب ذاته ، الصفحة ٩١

وكثيراً ما اخرج لي من جيبه قائمة طويلة مكتوباً فيها : علم الاجتماع . علم النفس . علم ما وراء المادة . علم الفلك . علم اللاهوت . علم التنويم المغناطيسي . علم الروح والقوافي الخ . الخ .

احمد حسن الزيات

هذه القطعة في الصفحة ١٢٢ من الطبعة الاولى لكتاب « القراءة الطريفة للصف الخامس » ، التي جمع منتخباتها حلمي اللحام ، وقد طُبع في دمشق سنة ١٩٣٧

... انقضت السنون الاربع ، فصوّحت الواحة ، وانطفأت الومضة وتبدد الحُلم ، واخفق الطب ومات ابني !! يا جبّار السموات والارض ، رُحماك ! اني مثل خفة الوسنان تتبدل الدنيا غير الدنيا ، فيعود النعيم شقاء ، والملأ خلاء ، والامل ذكرى ؟ اني مثل تحية العجلان يصمت الروض الفرد ، ويسكن البيت اللاعب ، ويقبُح الوجود الجميل ؟ حنانيك ، يا لطيف ! ما هذا اللهيب الغريب الذي يهب على غشاء الصدر ومراق البطن ، فيُربض الحشا ، ويُذيب لفائف القلب ؟ ! والهف نفسي عليه يوم تسلل اليه الحمام الراصد ، وعبث الهداء الوبيل بجسمه النضير ، كما تعبث الريح السموم بالزهرة الغضة ! ! والهف نفسي عليه ساعة اخذته غصّة الموت ، وادركته شهقة الروح ، فصاح بل. فمه الجميل « بابا ! بابا ! » كأنما ظن اباه يدفع عنه ما لا يدفع عن نفسه ! لنا الله من قبلك ومن بعدك ، يا بُنيّ ! ...

اسكندر الخوري البيتجالي

قد لُقب بشاعر فلسطين ، وهو من اشهر ادباء ذلك القطر . وجدنا في الجزء الثاني من روايته « غبريلا الحسناء » ، الذي وقع تحت نظرنا دون الاول ، امثلة عديدة من الانشاء اللاواوي ، على الاخص في الصفحات التالية : ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٦٥ .

القس سليمان صايغ

في طليعة ادباء العراق المعاصرين ، وقد تحققنا ان نحو ثلاثة ارباع جُمل روايته « بَدانْدوخت » لاواوية .

الاب فرديناند توتل اليسوعي

قد حرّر بانشاء لاواوي كل قاموسه « المنجد في الادب والعلوم » ، الذي صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ ، والثانية سنة ١٩٥٧ .

جرجي باز

هو من اشهر ادباء لبنان . قد شُغف بالانشاء اللاواوي الى حد الافراط . اليكم قطعة عن مقالة نشرها في جزء نيسان ١٩٢٩ من مجلة « المعارف » البيروتية ، بعد انتخاب الاستاذ شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية

وُلد شارل في بيروت في ١٩ نيسان ١٨٨٩ . تعلم اولاً في الكلية اليسوعية ، ثم في جامعة الاميركان . درس الشرائع في فرنسا ، في جامعتين مونبيليه ، باريز. باشر الشغل في بيروت مع المحامي جرجي جريديني . اشتغل فيها محامياً الى اعلان الدستور ، خادماً بعض جمعياتها الخيرية ، كساعدة المرضى ، اتحاد البر.

ترأس هنا تحرير جريدة الحرية الفرنسية ، ثم انشأ جريدة البيان ، ايضاً افرنسية ، سنة ١٩٠٩ ؛ من محرريها على عهده خيرالله خيرالله ، الكاتب اليوم في جريدة الطان الباريزية . سافر الى الاستانة عاصمة الدولة ، مدعواً ليرأس فيها تحرير جريدة في لغة الفرنسيين ، عزم الاتحاديون على اصدارها نسخةً لجريدتهم التركية طنين . في العاصمة اشتغل محامياً سياسياً معاً . غيبوه قنصلاً عثمانياً في الارجنتين . دعوه الى بعض المناصب . انتدبوه لعدة لجان .

وافى العرب الى باريز عام ١٩١٣ ، اشترك في المؤتمر العربي الباريزي سكرتيراً عاماً (١٨—٢٣ حزيران) . في مدة الحرب تبلغ في جامعة باريز دروس الدكتورا الشرعية ، مشتغلاً ايضاً في المسئلتين السورية اللبنانية ، من اركان الجمعية المركزية.

حاكمه غيابياً ديوان الحرب العرفي في عاليه سنة ١٩١٦ ، فحكم عليه بالاعدام لتشبثه بفك ارتباط ولايات سورية من الادارة العثمانية ، فتشكيل امارة مستقلة ، محاكماً معه احمد عزت باشا ، خيرالله خيرالله ، نعوم مكرزل ، العمونين اسكندر داود ، اسعد داغر ، رزق الله ارقش ، جميل معلوف .

غاب عن بيروت عشر سنين ، عائشاً ثلثيها في فرنسا . زار انكلترا ، ايطاليا . استلم دعاوى مهمة في الاستانة ، في باريز .

عاد اواخر عام ١٩١٨ . تعين معاون مستشار شرعي في المفوضية العليا في غرة العام التالي ، فاستمر عشرين شهراً. انتدبوه لنظارة العدلية في لبنان الكبير منذ اعلان دولته (١ — ٩ — ١٩٢٠) ، فتولى النظارة ، الوزارة اكثر من خمسة اعوام ، منتدباً ايضاً لتمثيل المفوضية في مجلس النواب .

انتخبه المجلسان الشيخ النواب اول رئيس لجمهورية لبنان حين اعلانها ١٩٢٦ ، ثم انتخبه ايضاً مجلسنا الحالي رئيساً في هذه الدورة . فتولى الرئاسة العليا ثلاثة اعوام برهن فيها علماً وافراً ، ادباً عالياً ، جهداً عظيماً ، تجرداً نزيهاً ، تدبيراً جميلاً ، سياسة عامة ، لا طائفية ، مما يستدعي الاعجاب . . .

الانشاء اللاواوي في بعض اشهر الجرائد المصرية

هاكم اول جزء ١٥ تموز ١٩٥٨ من « الاهرام » :

سقطت الملكية في العراق ، وأعلنت الجمهورية . نام الشعب العراقي اول امس ، وهو يرزح في قيود الملكية ، وفي الصباح فتح الشعب عينيه على صوت مذيع بغداد يقول : « هنا اذاعة الجمهورية العراقية العربية . » اعلن الجيش الثورة ، وخرج الشعب يباركها . حطم الجيش الملكية ، وذهب الشعب يشيع الحطام الباقي . احاط الشعب بالقصر الملكي ، وارغموا عبد الاله على الخروج ، وهم يصرخون في وجهه : « يا عدو الاله ، يا عدو الاله ! » قتل عدو الاله . أعلن تكوين مجلس سيادة ومجلس وزراء جديد . يتولى المجلسان الحكم الى ان يجري استفتاء شعبي . اعترفت الجمهورية العراقية بالجمهورية العربية المتحدة .

اذاعت محطات العالم نبأ الثورة في العراق . قطع العراق المواصلات اللاسلكية بين بغداد ولندن . فرضت الرقابة العامة ، وصدر امر بحظر التجول . العالم كله يتابع ثورة العراق .

في تركيا : لم تصل طائرة نوري السعيد والملك فيصل الى استانبول . كان مقرراً وصولها لحضور اجتماع الدول الاسلامية في حلف بغداد امس . احيط مصيرهما بالغموض . لم يُعرف شيء عنهما حتى الآن . ألغي اجتماع استانبول . عقد زعماء الباكستان وايران وتركيا اجتماعاً في انقرة .

في امريكا : ابلغ السفير الامريكي في بغداد نبأ الثورة الى حكومته . اصيبت امريكا بدهشة كانت مفاجأة . قالت وكالة الاسوشيتدبرس ان ثورة العراق هي اخطر صدمة لمركز الغرب في الشرق الاوسط منذ تأميم القناة . دعا ايزنهاور زعماء الكونغرس من الحزبين للاجتماع به في البيت الابيض .

في لندن : اجتمع ماكيلان مع سلوين لويد اجتماعاً عاجلاً استغرق ٤٥ دقيقة . حذرت الصحف المسائية بريطانيا من التدخل في العراق . قال الدبلوماسيون

ان الثورة جاءت ضربة قاضية لحلف بغداد ومشروع ايزنهاور . المسؤولون يدرسون حلف بغداد لتقرير مدى التزامات انكلترا نحو العراق . اعلن سلوين لويد في مجلس العموم ان هناك مظاهرات في العراق . هبوط في اسعار البورصة واسهم شركات البترول .

إقرأوا ما نُشر في العمود الثاني من الصفحة الاولى في جزء ١٦ تموز ١٩٥٨ من جريدة « الاخبار » وهي من أكبر جرائد القاهرة :

في لبنان : احتلت القوات الامريكية بيروت . وقع شمعون وكل وزرائه طلبا بالاحتلال . استقبل انصار شمعون قوات الاحتلال بالطبول والزمور . أعلن صائب سلام ان قواته ستقاتل من منزل الى منزل .

في لندن : بدأ اعداد مؤامرة لغزو العراق . بريطانيا تستبدأ الغزو خلال ايام . احرق موظفو السفارة البريطانية في بغداد سفارتهم لتبرير التدخل . قام الجيش العراقي باطفائها . نقل موظفي السفارة الى افخم فندق في العراق . بريطانيا تريد اتخاذ ذلك حجة للتدخل . امرت جنودها في قبرص ومالطة بالاستعداد للتحرك فوراً . صدرت الاوامر بتعزيز القوات البريطانية في عدن والخليج الفارسي . تقرر نقل ٦ آلاف جندي للشرق الاوسط خلال ٤٨ ساعة . هناك ٤٠ الف جندي في قبرص على استعداد للتحرك . الجو لواء الكوماندوز من مالطة لقبرص . اعدت بريطانيا اكبر قوة ضاربة تملكها للتدخل .

في جنيف لامن . الجو يهدد بالانفجار . روسيا تنذر بالحرب . تطالب باصدار قرار بسحب القوات الامريكية فوراً من لبنان . حاول مندوب روسيا طرد مندوب الحكومة العراقية السابقة . عارضت امريكا وبريطانيا .

في جنيف حتى في اوربا لم تصل الى هذه الدرجة منذ نشوب الحرب . ذعر حقيقي . يعتقد المراقبون ان الغرب سيفقد اعصابه . سيدخل في حرب عالمية .

واشنطن : احتفالات بمسرة . حمى الحرب . اوامر للاسطول الامريكي في الاطلنطي بالاستعداد للتحرك بعد ٤ ساعات من صدور الاوامر اليه .

هاكم اخيراً ملخص سيرة عبد الكريم قاسم المنشورة في العمود الاول من الصفحة الثالثة في جزء « الاخبار » السابق ذكره :

ان عبد الكريم قاسم زعيم ثورة العراق عمره ٤٨ سنة . شاب هادئ .

تخرج في الكلية العسكرية ببغداد ، وكليـة اركان الحرب . اشترك في معركة فلسطين . عاش هزائمها وشهد خياناتها ! بدأ منذ عامين تكوين خلايا من الضباط الاحرار . درس طريقة جمال عبد الناصر في تكوين خلايا الثورة . جمـع كل معلوماته عن هذا مما كانت تنشره صحف القاهرة عن اسرار الثورة. كان يجتمع سراً بالضباط المتذمرين . كان يوزع النشرات السرية على الضباط الاحرار .

وكان سر نجاح عبد الكريم انه كتوم . يتحرك بحساب . يعرف الضباط الذين يعتمد عليهم والضباط الذين لا يجوز الثقـة بهم . كان يتلقى منشورات الاحرار ، شأنه شأن الضباط الآخرين . وكان عدد قليل جـداً من الضباط يعرف انه مركز النشاط الثوري . . .

القسم الثاني

حذف حروف العطف بين افعال او موصوفات متتابعة او بين ما تكرر من حرف الجر عنه مع مجرورات مختلفة

لا ننكر ان الادباء القدماء لم يألفوا ذلك الحذف ، لعدم استعمالهم الفواصل (virgules) ، التي تنوب مناب حروف العطف بين افعال او موصوفات متوالية. بيد ان فريقاً من اشهر المعاصرين قد الفه بعد انتشار علامـات الوقف في الادب العربي ، فلا بد من ايراد بعض الامثلة على ذلك .

حافظ ابراهيم وخليل مطران

نجد في الصفحة ٢١ من « الموجز في علم الاقتصاد » ، وهو تعريبها لكتاب العالم الفرنسي الشهير بولس لوروا بوليو (Leroy Beaulieu) (١٩١٦) : « حب العمل ، السلطان على النفس ، الجلـد ، المثابرة ، الاقساط ، التبصر ، الرغبة في النسل . » في الصفحة ٢٤ : « انتاج الارزاق ، توزيعها ، تداولها ، استهلاكها . » في الصفحة ٢٨ : « التشبه ، العادة ، الارث . » في الصفحة ٣٢ : « الطبيعة ، عمل الانسان ، رأس المال . » قد اكتفينا بتلك الامثلة اتقاء للتطويل الممل .

الاب لويس معلوف اليسوعي

نرى في كتابه « رياضة روحية للكهنة » نموذجات عديدة من الحذف المشار

اليه ، فنجتزئ بذكر شيء زهيد منها . في الصفحة ٦٨ : « يرى كيف استخدم قواه الروحية : العقل ، الارادة ، القلب ، الاميال . » في الصفحة ٦٩ : « الصلوات ، « فحص الضمير ، الاعتراف ، الذبيحة الالهية ، الوعظ ، التعليم ، العناية بالاولاد « والمرضى ، خدمة الاسرار الالهية . . . » في الصفحة ٧٠ : « كان كله لله ، « للكمال والفضيلة ، لنفسه ، للعناية بالنفوس . » في الصفحة ٧٥ : « سيفصلنا « (الموت) عن الاهل والاصدقاء والمعارف ، عن ممتلكاتنا ومقتنياتنا وثروتنا ، « عما حصلنا عليه من الالقاب والامتيازات والمناصب ، عن دواعي الفرح « والمسرة ، عن الملذات والملاهي ، عن مصائبنا واتعابنا وهمومنا ومشاكلنا ، « عن اوجاعنا وامراضنا واحزاننا . »

في جزء ٨ شباط ١٩٢٨ من جريدة «البشير» : « لقد اصبحت ابواب جمهوريات « اميركة الجنوبية اليوم مقفلة في وجوه السوريين والفلسطينيين ؛ نخص بالذكر منها « كولومبية ، المكسيك ، غواتيمالا ، السلفادور ، البرازيل ، هندوراس . »

في الصفحة ٦٨ من تقويم « البشير » لسنة ١٩٢٨ ، وقد ادار تحريره الاب معلوف : « اهم مدن لبنان على الساحل : طرابلس ، البترون ، جبيل ، جونية ، بيروت . »

جرجي باز

١ في « حسن التذكار » ، الصفحة ١٠ : « فبئس اذاً منافاة سنة السرّان ، مماكسة الطبيعة ، مخالفة الرأي السام . » في الصفحة ٢٤ : « تأملوا باهيتكم ، بنفوذكم ، بطمنكم . »

٢ في مقالته على شارل دباس ، رئيس الجمهورية اللبنانية ، المنشورة في جزء نيسان ١٩٢٩ من مجلة « المعارف » البيروتية . في الصفحة ٢٦٧ : « مواطنها (يعني مواطن اسرة « دباس) اللد ، يافا ، بيروت ، الشام ، اليوم اسكندرية . نبغ منها ثلاثة بطاركة في « جبيل ، اثنان منهم اخوان ، اثنان اثناسيوسان ، ثالثهم علّامة . . . منها في بيروت ، في الجيل « الماضي ، جرجس احد مؤلفي الجمعية المتيرية ١٨٦٨ ، بطرس اول رئيس علماني لجمعية « مساعدة المرضى نحو سنة ١٨٩٠ ، ديمتري من عمدة مستشفى مار جرجس . . . من سيداتها « البكريتان اغبول ، فوتين . »

حسبنا ما اوردناه من الامثلة لئلا يفرغ صبر القراء من فرط طول هذه المقالة . على ان تكملتها بايجاز تقتضي ذكر سؤال ادرجته مجلة « لغة العرب »

في الصفحة ١٠٥ من جز. آب ١٩٢٦ ، ولا يخفى على الادباء ان محررهـا كان الاب انستاس الكرملي (١٩٤٧) اللغوي النابغـة ، من اعضاء المجمع العلمي العربي . هاكم نص ذلك السؤال : «هل ورد في شعر العرب معطوفات متوالية «بلا حرف عطف ، ثم وُضع عطف واحد قبل المعطوف الاخير ، كما يقول الافرنج «مثلاً : Joseph, Jean, Paul et Pierre sont arrivés ? لاننا رأينا كثيرين «من المتفرنجين يصيغون عباراتهم على مثال الافرنج . »

اليكم الآن جواب الاب انستاس التابع للمتن السابق : « لم يخترع ابناء العرب هذا النمط من التعبير ، فان ابناء العرب سبقوهم اليه ، حتى في شعرهم . قال الراجز : راجع كتاب البيان للجاحظ (١ : ٦٢) :

اذا غدت سعدٌ على شبيبها ، على فتاها وعلى خطيبها ،
من مطلع الشمس الى مغيبها ، عجبتُ من كثرتها وطيبها .

فانت تراه قال « على شبيبها ، على فتاها وعلى خطيبها » جاعلاً اداة العطف في الآخر ، على حد ما يفعله الافرنج في عهدنا هذا . »

نجد مثل ذلك التركيب في انشاء بعض مشاهير ادبائنا المعاصرين . كتب الاب لويس معلوف في جز. ٢٠ ايلول ١٩٢٨ من جريدة « البشير » : « وقد خدم الانفس في المدن طرسوس ، منصورة ، ايقونية وازمير . . . »

كتب ميخائيل نعيمه في الصفحة ١٥٧ من « مجموعة الرابطة القلمية » لسنة ١٩٢١ : « لا يسب الدين ، لا يسكر ، لا يلعب بالقمار ولا يدخن . »

* * *

عباس محمود العقّاد ، المفكر المصري الشهير ، يؤيد رأينا كل التأييـد في عروبة الانشاء اللاواوي المحنة ؛ قال في هذا الشأن ؛ لا نُقض فوه . « كان قراء اللغة العربية وبعض اللغات الافرنجية يحسبون ان كثرة الفصل بين الجُمل خاصة من خواص الاسلوب الافرنجي ، تطرقت الى لغتنا من الترجمة او محاكاة كتّاب الغربيين في وصف الجمل وتقسيم العبارات . . . ولكني اعتقد ان الفصل بين الجمل خاصة من خواص التفكير ، قبل ان تكون خاصة من خواص حروف العطف وصلات الالفاظ . وارى ان كتّاب الافرنج اكثر منا عنايةً بوصل المعاني وترتيب الموضوعات ، وإن ظهر على ترجمة اساليبهم انهـا اقرب الى التفكك

والانقطاع بين الجمل والفقرات . وارى من ناحية اخرى ان البلاغة العربية لم تخلُ من الفصل الكثير في اساليب افصح الفصحاء واقدر الكتّاب والمنشئين . بل هذا القرآن الكريم تتوالى فيه الآيات احياناً بلا صلة لفظية بينها غير الصلة التي تُفهم من سياق الكلام ، وتؤديها علامات الترقيم[1] احسن اداء . »

نختم مقالتنا الطويلة باختصار فوائد الانشاء اللاواوي الجليلة . الاولى هي زيادة رشاقة الانشاء ، فان ادوات العطف غير الضرورية شبه قيود تثقله . الثانية هي زيادة رخامة الجمل المستقلة بتنويع اول حروفها ، عوضاً عن التكرار الممل للواو والفاء وامثالها . الثالثة — وهي عملية جداً — تقليل نفقات الطبع ؛ فاذا حذفنا في كل من خمسمئة صفحة كبيرة في كتاب ، ثلاثين حرف عطف ، بلغ مجموع المحذوف منها خمسة عشر الفاً ، وهو يساوي نحو اربعمئة سطر .

على كل حال ليست غاية مقالتنا بيان افضلية الانشاء اللاواوي ، بل عروبته المحضة ، وقد اثبتناها باسطع الدلائل ؛ وعفا الجمد على جميع آلانه ، فهو مصدر كل الحقائق وينبوعها الفياض !

---

(١) يعني بهذا التعبير المألوف في مصر : علامات الوقف .

اللحى في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات (*)

كان ابن ابي العباس (البقاح) كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود فلقبوه (بابا) لدبس وقال فيه بعض شعراء اهل البصرة (لما ولاه المنصور البصرة):

صرنا من الزبح الى الوكس اذ ولي المصر ابو الدبس
ما شئت من لوم على نفسه وحبه من اكرم الحبس[1]

كان محمد بن ابي العباس محمّاً فكان يغلف لحيته باوراق من الغالية فتسيل على ثيابه فتصير مسرة فلقبه اهل البصرة ابا الدبس[2].

ابو عبيد بن سلام ... كان ابوه عبداً رومياً وكان يخضب بالحناء احمر الراس واللحية[3].

سنة ٢٩٠ تبوج الحسن بن الافشين بترجة بنت اشناس ... وكان عرساً حافلاً ونيه المنعم بنفسه حتى قيل انهم كانوا يخضبون لحى العامة بالغالية[4].

قال بكر بن مرداس على لسان اعرابيين وفدا على يزيد بن الوليد والي اليمن:

فقدنا خانا مما اقل غثاءها واضيع فيها الدهن يا ابن مطيع
دهنّ وتشاهيا بميرنا كخافي نمز هوى لوقوع
فما ساقنا خيراً سوى المزن سنة واضحا غم لكل ضحيع
فيا ليتنا كنا سخابين سقلا لو قل كلاعراب كل ربيع
فتسلب مالاً لا ترقّع عده مخافة عري او مخافة جوع[5]

ان دهنت منابت شعر اللحية بدهن القرع المز وقثاء الحمار مذاباً فيه شيح ارمني اسرع فيها نبات الشعر[6].

١) الاغاني ١٣: ٩٦
٢) الاغاني ١٣: ٩٦
٣) وفيات الاعيان طبعة رسلان ٥٨٥
٤) البداية والنهاية ١٠: ٢٩٠
٥) صفة جزيرة العرب لابي محمد الحسن بن الهمداني ٥٧
٦) عيون الاخبار ٣: ٢٨٩

كان الامين لا يرى احداً وسيماً حسن الرداء الا خلع عليه وقوّده وكان لا يقوّد احداً الا غافت لحيته بالغالية وهم للذين يسمون قواد الغالية[1] .

عن الصادق عم : ان رجلاً دخل على رسول الله صلعم وقد صفر لحيته فقال له رسول الله صلعم ما احسن هذا[2] .

عن ابي محمد المؤذن قال كان ابو عبدالله عم يصفر لحيته بالحطمى والحنا.[3] .

قاضي القضاة زين الدين التفهني الحنفي كانت لحيته صفراء غير نقية البياض قيل انه كان يبخرها قديماً بكبريت حتى تبيض بسرعة (المنهل الصافي نسخة الجامعة ٤ : ٥٤) .

عن ابي عبدالله عم قال خضاب الراس واللحية من السنة[4] .

لنجم الدين بن صابر اربعة ابيات في بياض الشيب قال في آخرها :

لو ان لحية من يشيب صحيفة لعاده ما اختارها بيضاء[5]

لابن عصفور النحوي الاشبيلي :

لما نسبت الى التفريط في كبري وصرت اغرى بشرب الراح والناس
ورأيت ان خضاب الشيب يستر لي ان البياض قليل الحمل للدنس

(المنهل الصافي نسخة الجامعة ٤ : ١٦٦)

احمد بن الحارث الخراز . كان كبير الراس طويل اللحية كبيرها . . خضب قبل موته لسنة خضاباً قيل له فسئل عن ذلك فقال بلغني ان منكراً ونكيراً اذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً قال منكر لنكير تجاف عنه[6] .

كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحنا. ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت لم تفعل هذا قال لاكون كاني اسد والمغ في دم[7] .

---

١) تاريخ الطبري ٣ : ٢ : ٨٠٠
٢) نوادر الاشراق ١٠٩
٣) نوادر الاشراق ١١٢
٤) نوادر الاشراق ١١٦
٥) وفيات الاعيان ، مصر ، ٥٠٣
٦) ارشاد الاريب ١ : ٢٠٨ :
٧) الاغاني ٤ : ٣

خرج كثير يريد عزة ... فلم يلبث ان اقبلت جارية معها طست وتور وتربة ماء حتى انتبت اليه ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً قريباً من ذراع راحلة فقالت له ما على هذا ؟ فارقتك . فركب راحلة وهي باركة وقامت الى لحيته فاخذت التور فخضبته وهو على ظهر راحلة حتى فرغت من خضابه ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب ثم قامت اليه فغسلت لحيته ودهنته ثم قام فركب وقال :

ان اهل الخضاب قد تركوني موزعاً مولعاً باهل الخضاب[1] .

دخل الرقاشي على بعض الامراء فقال له قد اصبح خضابك قانياً . قال لاني امسيت له معانياً . قال وكيف تفعل به قال أنعم الحناء عجناً واجعل ماءه سخناً وارو شعرك دهناً فان بات فتى وان اغنى اغنى[2] .

رأيت عمر بن عبد العزيز وهو امير المدينة وهو يأخذ خاتمه يتمسح به خده او لحيته ثم يختم به فكأنما الملح الاندراني ذُرَّ عليه ، يعني من الطيب .

الخضاب الاسود المعروف بالهندي وهو الخضاب الذي يلمع سواده فيما يظهر من اصول الشعر هنة كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شيء . ويحكى ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب[3] .

تقي الدين بن حجة الحموي هجاه الشيخ بدر الدين الشبتكي :

صبغ دعاويه لا تنتهي يخطئ الصواب ولا يثمر
تفكرت فيه وفي ذقنه فلم ادر ايهما احمر[4]

وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله يخضب بالحنا .

الخضاب بالخطر (نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به) قال :

ان شيئاً صلاحه بالخضاب نعذاب موكل بعذاب
ولعمر الاله لولا هدى البيض وان تشتم نفس الكعاب
لأمرت الخدين من وضر الخطر واذعنت لانقضاء الشباب !

---

١) الاغاني ٨ : ١١٠
٢) الاغاني ١٥ : ٣٨
٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ٢ : ١١
٤) المنهل الصافي نسخة الجامعة العبرية ٨ : ٨٣

الخضاب بالوسمة . قال العيني :

عليك المطر عليك ان تدافى الى بعض تراجن حمور

في هذه السنة (١٩٦) استأمن الى محمد الامين) من ظاهر جماعة كثيرة وشغب الجند على ظاهر ففرق محمد في من صار اليه من اصحاب ظاهر مالاً عظيماً وقوّد رجالاً وغاق لهم فسموا بذلك قواد الغالية (تاريخ الطبري ، مطبعة الاستانة ١٩٣٩ ، ج ٧ : ٤٧) .

الوَسمة نبات تخضب بورقه ويقال هو العِظلم .

٨ — خفة اللحى

. ومن اشتهر بكونه سناطاً او كوسجاً لا لحية له او لحيته على ذقنه لا على العارضين .

كان الاحنف سُناطاً فكان رهطه يقولون : وددنا انا اشترينا للاحنف لحية بعشرين ألفاً . وعن شريح القاضي : وددت ان لي لحية بعشرة آلاف[1] .

كان قيس بن سعد سناطاً فكانت الانصار تقول : لوددنا اننا اشترينا له لحية بانصاف اموالنا . . . واما عبدالله بن الزبير فيذكر اهله انه قال : عالجت لحيتي الى ان بلغت ستين سنة فلما اكملتها بنست منها[2]

القاضي شريح . . . هو احد السادات الاطلس وهم اربعة : عبدالله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والاحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم والقاضي شريح والاطلس الذي لا شعر في وجهه[3] .

ابن سُريج المغني كان آدم احمر ظاهر الدم سناطاً[4] .

كان سهل الكوسج ابو سابور بن سهل صاحب الاقراباذين المشهور من اهل الاهواز وكان ألحى وانما لقب بالكوسج على سبيل التضاد[5] .

---

١) الف باء لابي الحجاج يوسف . اكسفرد Marsh. 242 f°947-948

٢) الكامل للمبرد طبعة ليبسك ٣٩٧ .

٣) وفيات الاعيان ٣١٦

٤) الاغاني طبعة الدار ١ : ٢٤٩

٥) عيون الانباء ١ : ١٦٥

(اهل خوزستان) الغالب على خلقهم صفرة الالوان والنحافة وخفة اللحى[1] .

لجرير يهجو :

ان العجم قبيلة ملعونة حُمْرُ اللحى متناجو الالوان

قال وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة[2] .

كان العرجي ازرق كوسجا[3] .

لقي اشعبَ صديق لابيه فقال له ويحك اشعب كان ابوك أألحى وانت نط فالى من خرجت قال الى امي[4] .

الوليد بن عتبة بن ابي سفيان (عامل الحجاز) كان وجهه ورقة من ورق المصحف (الاعلام بالحروب الواقعة بصدر الاسلام — المكتبة الملكية بمصر ٢٤٢) .

سنة ٦٢٣ توفي واقف الرواحية بدمشق وحلب ابو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة . . . كان غاية في الطول والعرض ولا لحية له[5] .

قاضي القضاة نجم الدين المقدسي الحنبلي (٦٨٩) ليس له من اللحية الا شعرات (٦٤)[6] .

سنة ٨٦٥ توفي الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر . اينال العلائي تسلطن يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ٨٦٧ كان طويلاً خفيف اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرود[7] .

كان ابو عمر احمد بن عبد ربه صديقاً لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر . . . وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان اطلس لا لحية له ويسمى كتاب العقد حبل الثوم[8] .

---

١) المسالك والممالك لابن حوقل ١٧٤ وانساب الاشراف ٥ : ٢٠١

٢) الاغاني ٧ : ٦٠

٣) الاغاني ١ : ١٥٤

٤) الاغاني ١٧ : ٩٦

٥) البداية والنهاية ١٣ : ١١٦

٦) المنهل الصافي نسخة الجامعة العبرية ١ : ٦٤

٧) شذرات الذهب ٧ : ٣٠٥

٨) بدائع لابن ظافر ٣٠

كان الوزير ابن المغربي (الحسين بن علي) اسمر شديد السمرة سناطاً (في المطبوع بساطاً)[1] .

٩ – قصّ اللحى وتدويرها

قال المزني : ما رأيت وجهاً احسن من وجه الشافعي ولا لحية احسن من لحيته وكان ربما قبض عليها فلا تفضل عن قبضته ولقد سمعته يوماً ينشد :

قوم يرون النبل تطويل اللحى لا علم دين عندهم ولا تقى[2]

سنة ٦٥٥ دخلت الفقراء الحيدرية الى الشام ومن شعائرهم لبس الفراجي والطراطير وقص لحاهم وترك شواربهم وهو خلاف السنة فطرأ ذلك متابعة لشيخهم حيدر حين اسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه فاقتدوا به في ذلك وهو معذور مأجور حيث فعل به ذلك بغير اختياره وارادته وهم غير مأجورين بل هم مأمورون وقد نهى رسول الله صلعم عن ذلك وقد بنيت لهم في ايامنا زاوية بظاهر دمشق[3] .

لما ملك ابن عثمان حلب ارسل خلف خاير بك نائب حلب وصار من جملة امرائه ولبس زي التراكمة العمامة المدورة وقص ذقنه[4] .

في يوم الاثنين سادس عشر المحرم سنة ٩٢٨ وقع فيه من النوادر الغريبة ان ملك الامراء لما عرض المماليك صار كلّ من رآه من المماليك ولحيته طويلة يقص منها نصفها ويعطيها له في يده ويقول له امش على القانون العثماني في قصّ اللحى وتضييق الاكمام وكل ما تفعله العثمانية[5] .

« غير الحلّة وقصّر اللحية » من رسالة التطفيل لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني[6] .

قال هشام بن الكلبي كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت وحلفت

---

١) الخطط ٢ : ١٥٨

٢) مجلد من المقفى للمقريزي خزانة ليدن – Arab.1366 .

٣) تاريخ ابن كثير رواية الطبراني ١٥١٦ باريس ١٧ .

٤) تاريخ ابن اياس ٣ : ٥١

٥) تاريخ ابن اياس ٣ : ٢٨٠

٦) نهاية الارب ٣ : ٣٣٧

ان لا اخرج منه حتى احفظ القرآن فحفظته في ثلاثة ايام ونظرت يوماً في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فاخذت ما فوق القبضة[1] .

قال عمر بن عبد العزيز : اياكم والمثلة في العقوبة جزّ الراس واللحية[2] .

نظر النبي عليه السلام الى رجل طويل اللحية فقال ما كان هذا لو هيأ من لحيته . فبلغ الرجل ذلك فهيأ لحيته بين اللحيتين ثم دخل على النبي صلعم فلما رآه قال هكذا فافعلوا .

عن محمد بن مسلم قال رأيت الباقر يأخذ من لحيته فقال دوّرها وقال الصادق عم تقبض بيدك على اللحية وتجزّ ما فضل .

عن كتاب المحاسن عن علي بن جعفر قال سألت اخي عن الرجل يأخذ من لحيته قال اما من عارضيه فلا بأس واما من مقدمها فلا تأخذ .

عن سرير الصيرفي قال رأيت ابا جعفر عم قد حفّ لحيته .

عن سرير قال رأيت ابا جعفر عم يأخذ عارضيه ويبطن لحيته اي يأخذ من تحت الذقن .

عن ابي عبدالله عم قال من زاد من اللحية على القبضة ففي النار . وعنه عم من سعادة المرء خفة لحيته .

عن ابي ايوب عن محمد قال رأيت ابا جعفر عم والحجام يأخذ من لحيته فقال له : أدرها[3] .

عضد الدولة اول ما عمل بابي الفتح بن العميد ان حمل احدى عينيه ثم نكل به وجزّ لحيته وجدع انفه[4] .

١٠ – نتف اللحى

من عجيب ما حكي عن الحريري انه كان مشغوفاً بنتف اللحية وهو مرض من غلبة السودا. فوكل به شخص . فلما عرض المقامات على الوزير واعجب الوزير صنعته سأل عن حاجته فقال مأكني لحيتي[5] .

١) كتاب الاذكيا : لابن الجوزي ٥٧
٢) عيون الاخبار ١ : ٧٣
٣) نوادر الاشراق ٩٥-٩٦
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٢٤٩
٥) اثار البلاد واخبار العباد للقزويني ٣٠٨

كان الحريري مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة[1] ... لابن جكنا البغدادي في هجائه وكان الحريري يزعم انه من ربيعة الفرس :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثونه من الهوس
انطقه الله بالمثان كما رماه وسط الديوان بالخرس[2]

ترف الفضيلة في نتف اللحية الطويلة لمحمد بن احمد بن رضوان المتوفى سنة ٧٢٢[3] .

دعا مسلم بن عقبة المري امير الجيش بعد وقعة الحرة عمرو بن عثمان بن عفان وقال له : نحن نقاتل عن دولتكم وانت تكيدها ؟ يا غلام انتف لحيته فنتفت حتى ما تركت فيها طاقة[4] .

لما هزم عمرو بن الزبير واسر قال له اخوه عبدالله بن الزبير : ويحك ما صنعت ؟ اما حقي قد تركته بالاخوة ولا بد من الاخذ بمظالم الناس فحبسه اشهراً يقفه كل يوم فيأتي الرجل فيقول: لكرني فيلكزه. ويقول الآخر لطمني فيلطمه ويقول الآخر نتف لحيتي فينتف لحيته[5] .

خرج بنو امية وغيرهم بعائشة حتى قدموا البصرة فاخذوا ابن ضيف امرها من قبل علي فنالوا من شعره ونتفوا لحيته وخلوا سبيله فقصد علياً وقال له : نبئني ذا لحية وقد جئتك امرد قال : اصبت اجراً وخيراً[6] .

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني وخاصمته النوار واخذت بلحيته فجاءت بها وخرج وهو يقول :

قامت نوار الي تنتف لحيتي تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما اسد اذا ما اغضبت واذا رضين فهن خير معاش[7]

والخشخاش رجل من عترة وجعدة امرأته.

١) وفيات الاعيان ١ : ٣١٠
٢) وفيات الاعيان رسلان ٥٨٧
٣) كشف الظنون ١ : ٢٨٢
٤) انساب الاشراف ٤ : ٣٩
٥) انساب الاشراف ٣٨
٦) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨١
٧) الاغاني ١٩ : ١٢

ان عمارًا ذا كناز كانت له امرأة يقال لها دومة تخلقت بخلقه في شرب الشراب والمجون والسفه . . . ثم حجت في امارة يوسف بن عمر فقال لها عمار :

اتقي الله قد حججت فتوبي لا يكونن ما صنت خيالا

(في اربعة ابيات اخر) فضربته دومة وخرقت ثيابه ونتفت لحيته وقالت اتجعلني غرضاً لشعرك ؟[1]

اماجور ولي دمشق في ايام المعتمد سنة ٢٥٦ . . . وجه مرة فارساً الى ازرعات ولما رجع نزل اليرموك فوجد هناك اعرابياً فجرت بينهما خصومة فنتف الاعرابي من ذقن الجندي خصلتين فبلغت اماجور الواقعة فتحيل على البدوي بحيلة في ذكرها طول الى ان ظفر به وطلب حجاماً وقال لا تدع في وجه الاعرابي ولا في جسده شعرة فنتف الحجام حواجبه ثم جفون عينيه ولم يدع في راسه ولا في وجهه ولا جسده شعرة الا نتفها ثم ضربه اربع ماية سوط ثم حبسه ثم ضربه اربع ماية سوط اخرى ثم قطع يديه في اليوم الثاني وقطع رجليه ثم قطع رأسه وصلبه ثم دعا بذلك الجندي وكان قد حبسه فضربه بالعصى ماية عصا واسقط اسمه وقال انت ما دفعت البدوي عن نفسك فما عساك تنفع ؟[2]

لما تمكن طلحة والزبير من البصرة وقتلوا حرس بيت المال وهم سبعون رجلاً من غير سبب ولا ذنب اخذوا عثمان بن حنيف الانصاري عامل امير المؤمنين علي بن ابي طالب على البصرة ونتفوا لحيته وارادوا قتله[3] .

لبعض الشعراء في انكار الرفق بالمصادرين وقلة الاستقصاء في شناعة تعذيبهم والتنكيل بهم :

ابن عرك الاذان واللطم . . . . . وعصر الحصى وابن الزياد
ابن نتف اللحى وشد الحيا زير وابن الحبوس والمضار[4]

نتف اللحية من ابن دحية لتاج الدين الكندي (معجم الادباء لياقوت ١١ : ٢٧٥) .

---

١) الاغاني ٢٠ : ١٧٥-١٧٦
٢) تحفة ذوي الالباب للصفدي ٨٧
٣) الديارات ٩٢
٤) صلة عريب ٦٦

لما صودر علي بن محمد بن الفرات بعد وزارته الثانية وسلم لحامد بن العباس وزير المقتدر وضاق حامد بن العباس ذرعاً في مناظرته امر ان ينتف لحيته فلم يمتثل احد امره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته[1].

ذكر ابو هرون العبدي قال رأيت ابا سعيد الخدري بالمدينة ولحيته بيضاء وقد خف جانباها وبقي وسطها فقلت يا ابا سعيد ما حال لحيتك ؟ فقال هذا فعل ظلمة اهل الشام يوم الحرة دخلوا على بيتي فانتهبوا ما فيه حتى اخذوا قدحي الذي كنت اشرب فيه الماء ثم خرجوا ودخل علي بعدهم عشرة نفر وانا قائم اصلي فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئاً فاسفوا لذلك فاختاروني من مصلاي وضربوا بي الارض واقبل كل رجل منهم على ما يليه من لحيتي فنتفه فما ترى خفيفاً فهو موضع النتف وما تراه عافياً فهو ما وقع في التراب فلم يصلوا اليها وسأدعها كما ترى حتى اوافي بها ربي[2].

لعمارة اليمني يهجو ابن دجان :

مكّنك الدهر سبال الورى فأحلق لهم آمناً وانتف[3]

وله في الامير المؤتمن ابي علي موسى من قصيدة :

فابعث بمن ينتف ذقن الورى ان لم تكن امالنا سالبه[4]

انشدني ابو نصر بشر بن هرون الكاتب النصراني البغدادي لنفسه في ابي رفاعة بن كامل احد خلفاء القضاة ببغداد في سوادها :

قضى شعري على القاضي بحكم ... احب اليه مصفوعاً مذالا
ولو لم يستحب لنتفت منه ... سبالا ان وجدت له سبالا
ونتف سباله شيء حسان ... وان الحق صيره جمالا[5]

لزيد بن الحسن الكندي كتاب نتف اللاجة من ابن دحية رد فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي[6].

١) تجارب الامم ٥ : ٦٠
٢) الاخبار الطوال للدينوري ٣٧٨
٣) المكتبة المصرية ٣٩٦
٤) المكتبة المصرية ٣٨٧
٥) نشوار المحاضرة ١ : ٥٢
٦) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٣

افدي الذين نأوا والدار دانية وشتتوا بالجفا شمل المودات
كم قد تتفت سالي في صدورهم والصد اصعب من تتف السالات[1]

وله ايضا :

كلفت من امرهم ما لا اقوم به ومن يقوم بامر فيه تكليف
لاتتفنّ سالي طاعةً لهم فالذقن ان دام ذا الاعراض فشوف[2]

لابي القاسم الوساني :

يا معشر الناس اسمعوا ما انا قائله واستمعوا وصفي
اذا اردتم ستر استاذنا فلتكن الاناف في غلف
ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها غسل الدرابك والنُطُف
وبخروها بعد تطييبها بكل شيء طيب العرف
وما ارى سائر مُلم قلته ينجي ولا احسبه يكفي
او فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيء سوى النتف[3]

قال المنصور يوماً لعبدالله بن عياش المنتوف قد بغضت الي صورتك عشرتك وكفرت بالله لئن تتفت شعرة من لحيتك لاقطعن يدك فاعفاها حتى اتصلت فكان عنده يوماً وحدثه باحاديث استحسنها فقال له سل حاجتك قال نعم يا امير المؤمنين لحيتي تقطعني اياها اعمل بها ما اريد فضحك المنصور وقال له : لقد فعلت[4].

حدث عبدالله بن عباس الهمداني قال: قال لي المنصور : حدثني حديثاً بلغني عنك في نتف لحيتك في سفرك قال نعم يا امير المؤمنين . وجهني خالد العشري الى هشام بن عبد الملك برسالة اشافهه بها فقال : اعف لحيتك في سفرك هذا فلئن جئتني وقد نتف منها شعرة واحدة لاقطعن يدك (وكان مولعاً بلحيته) قال فقلت فلما دخلت دمشق دخلت الموضأ فخلوت بنفسي ادرس الرسالة

---

١) بتيمة الدهر ١ : ٢٤٢
٢) بتيمة الدهر ١ : ٢٤٣
٣) بتيمة الدهر ١ : ٢٦٥
٤) الجزء الحادي عشر من تذكرة ابن حمدون ١٥١٦ (ادب دار الكتب المصرية ١/١٤٦ .

واقول: إن قال لي كذا قلت كذا وسهوت عن الوصية فاقبلت على لحيتي انتفها والقيها بين يدي فاتيت على جميعها فصحت بغلامي فاحرقته بجمرها وغسلها وشددتها بتديل ثم خرجت ولبست ثيابي واخذت المنديل في كمي وصرت الى باب هشام فاستأذنت فاذن لي فاديت الرسالة فاجابني فلما اردت مفارقته قلت انا بالله وبك يا امير المؤمنين من خالد قال ما لك وله فحللت الصرة واريته ما فيها وخبرته الخبر فامر بالكتاب الى خالد: « قد اجرت عليك عبدالله بن عباس ما كنت اوعدته من نتف لحيته واعطي الله عبدًا لئن اثرت فيه اثرًا بعقوبة لاقتص له منك والسلام » قال فقدمت على خالد فلما رآني قال ما هذا قبل ان يسألني عن الرسالة قلت: جوابك في الكتاب تقرأه تعالَ اولى لك. ثم سألني عن الرسالة فاديتها اليه فضحك الخصور حتى استلقى[1].

كان ابو محمد المهدي المعروف بابن الصلاء احد الشعراء الطارئين على الاندلس كثيرًا ما يأتي بالاستعارة التي تضحك كقوله:

لحى جراباتي متوفة ومرّ دهر وهي لا تنتف[2]

اهل خوارزم لهم تجار يدخلون الى نواحي ياجوج وماجوج لاستخراج الخزوز والادبار وقلما يدخل لهم ذو لحية واكثرهم تخفيف العوارض والاسبلة. واهل القاف من ياجوج وماجوج مُرد جرد فاذا دخل اليهم ذو لحية كثاء نتفها الملك الذي يدخل بلده من نسل ياجوج وماجوج ثم احسن الى التاجر الذي انتف لحيته واغناه[3].

كان الحريري مولعاً بنتف لحيته فنهاه امير البصرة وتوعده على ذلك وكان كثير المجالسة له فبقي كالمقيد لا يتجاسر ان يعبث بلحيته فتكلم في بعض الايام بكلام اعجب الامير فقال له سلني شيئاً حتى اعطيك قال لحيتي. قال قد فعلت (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ٣: ٢٧٤).

---

١) الثاني من كتاب تاريخ الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي رقم ٢٦٧٥ دار الكتب المصرية ٢٩ و ٣٠٤

٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم الرابع المجلد الاول ٢٢٣

٣) صورة الارض لابن حوقل ١٩٣٨ ص ٤٨١ — ٤٨٢

١١ – حلق اللحى

أتي عبد الصمد بن علي باناس من الشطار فامر بضربهم وحلق رؤوسهم ولحاهم ففعل بهم ذلك وكان فيهم رجل بساط فقيل له ان هذا ليست له لحية فهل تزيده في الضرب قال : لا ولكن احلقوا لحية هذا الشرطي مكانه[1] .

عبد الواحد بن يحيى بن منصور امير مصر ورد عليه في سنة سبع وثلاثين ومائتين كتاب الخليفة المتوكل بحلق لحية قاضي قضاة مصر ابي بكر محمد بن ابي الليث وان يضربه ويطوف به على حمار ففعل ما أمر به[2] .

منع السلطان الملك الناصر الطائفة القلندرية من تحليق لحاهم وان من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم وان يكون شيخاً على طائفته ... وهذه البدعة لها منذ ظهرت ما يزيد على اربعمائة سنة واول ما ظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة وستماية[3] .

كان شهاب الدين قلندر يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة القلندرية[4] .

من نسخة تذكرة سلطانية كتب بها عن السلطان الملك الصالح علي ابن الملك المنصور قلاوون لكافل السلطنة بالديار المصرية الامير زين الدين كتبغا عند سفر الملك الصالح الى الشام واستقرار كتبغا المذكور نائباً عنه في سنة ٦٩٩ : فصل الحبوس ... وتحلق لحى الاسارى كلهم من فرنج وانطاكيين وغيرهم ويشهد ذلك فيهم كلما تنبت[5] .

محمد الساوجي جلال الدين شيخ القلندرية قدم دمشق وقرأ القرآن وسكن بجبل قاسيون ثم تزهد واقام بمقبرة باب الصغير في قبة زينب بنت زين العابدين ثم حلق لحيته وحاجبه ورأسه فوافقه على ذلك طائفته واشتهر وتبعه جماعة وحلقوا وذلك في حدود العشرين وستماية (١٢٢٣ م) ثم لبس دلق شعر ومضى الى

---

١) المحاسن والمساوئ ٢ : ١٥٤

٢) النجوم الزاهرة طبعة الدار ٣ : ٢٨٨ – تاريخ الاسلام للذهبي اكسفرد Land. Or. 244, f°. 235b

٣) الخطط ٤ : ٣٠٢

٤) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٠٢

٥) صبح الاعشى ١٣ : ٩٣

دمياط ... وتوفي فيها سنة ثلاثين وستماية (٣/١٢٣٢) وقبره بها مشهور وله اتباع[١] .

سنة ٦٥٨ فيها اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان (هولاكو قان) حيث كان في الشام ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان (عطاء ملك العراق الجويني) اشياء اعتمدها .. فامر السلطان بقتله فسئل العفو عنه فامر بحلق لحيته فحلقت وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه[٢] .

باب ما يجب في اللحية اذا حلقت في رواية الحكوني ان علياً عم قضى في اللحية اذا حلقت فلم تنبت بالدية كاملة فاذا نبتت فثلث الدية[٣] .

محمد المالكي كان مولعاً بقص شاربيه وحلق لحيته وحاجبيه توفي سنة ١١٨٥ للهجرة[٤] .

في ذي الحجة سنة ٧٦١ ورد كتاب السلطان بالزام القلندرية بزيّ المسلمين وترك زيّ الاعاجم والمجوس وتركهم حلق اللحى وشعر الوجه[٥] .

قال رجل لولده وقد شاء ان يكون قواداً : اذا يبلغ السلطان خبرك فيحلقون راسك وذقنك وينادى عليك[٦] .

انشدني الشيخ تاج الدين الكندي انه كان بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفي عنه في الباقي فعمل فيه ولم يصرخ باسمه بل رمزه وشتره وهو :

ذرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا ... جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم ار النصف محلوقاً فعدت له ... مثلاً بادي بدا لله وهبا
ففام ينشدني والدمع يخنقه ... بيتين ما نظما فيما ولا كذبا

---

١) جزء من المغني ليدن Arab 1368 c .
٢) الحوادث الجامعة للفوطي ص ٣٥٣
٣) كتاب من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رقم ١٧٠٣ المكتبة الملوكية ص ٤٩٧
٤) سلك الدرر ٤ : ٦١
٥) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ باريس ١٥٦
٦) نشوار المحاضرة ١ : ١٩٧

اذا انتك لحلق الذقن طائفة فاخلع ثيابك . . . هربا
وان اتوك وقالوا انما نصف . فان اطيب نصفها الذي ذهبا[1]

والبيتان الاخيران منها في الحماسة ايضاً .

الشيخ احمد بن عمر المعروف بالقاري المتوفى سنة ١٠٤١ (١٦٣١) لازم خدمة الشيخ المجذوب ابي بكر الحلبي . . فتولى الخلافة بعد جماعات متعددة . . . وكلهم فحلقوا اللحى يلبسون المرقعات ويفترشون جلود الغنم ويأكلون الحشيش والكلس وبعض المجاذيب منهم يشرب الخمر والعرق ولا يصومون وتتوارد عليهم مجاذيب البلاد[2] .

ابو بكر بن وفا المجذوب الحلبي (توفي في حدود التسعين وتسعماية) حلق لحيته وحواجبه وقلع اسنانه ثم كان يفعل ذلك في من يأتيه فقيراً حريداً وبقي جماعة على هذه الطريقة وظاهر منكر في الحقيقة[3] .

كان المرزبان انفذ رسولاً الى معز الدولة في امور حمله اياها . . . (سنة ٣٢٩) فادى اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل واسمع نهاية ما يكره وانصرف على هذه الحال فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض واخذ في جمع الرجال والاستعداد[4] .

بيد يدي القفقاع (بن ضرار وهو يومئذ على شرطة الكوفة) حجام واقف وصفرة موضوعة فيها المواسي فاذا أتي بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم[5] .

قال مسكين المدني لما كان عبداً خياطاً وسمع يوماً سوداء على رقبتها جرة وهي تغني وطلب منها ان تلقي عليه هذا الصوت فابت الا بدرهمين ثم انصرفت الى مولاي فقال هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء وبطحني وضربني وحلق لحيتي وراسي[6] .

---

١) فوات الوفيات ٢ : ٣٩٣

٢) خزانة الاثر للمحبي ١ : ٢٦٠

٣) الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة لنجم الدين احمد الغزي — الجامعة الاميركية بيروت 41 (i 02 .M ٩٢٥. ص ٣٢٤

٤) تجارب الامم ٦ : ١٣١

٥) الاغاني ١٨ : ١٤٩

٦) مروج الذهب بهامش الكامل ٨ : ١٥٨—١٥٩

اخذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق راسه ولحيته[1].

سنة ١٧٦ استُعمل على دمشق ابرهيم بن صالح بن علي... واستخلف ابنه اسحق وكان ميله ايضاً مع اليمانية فاخذ جماعة من قيس فحبسهم وضربهم وحلق لحاهم فنفر الناس[2].

سنة ٣١٧ نودي في الرجالة المصافية بخروجهم عن بغداد ومن اقام قبض عليه وحبس... وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضربهم محمد بن ياقوت وحلق لحاهم وشهر بهم[3].

اسحق بن ابرهيم بن صالح بن عباس الهاشمي ولي دمشق نيابة عن ابيه ابرهيم في خلافة الرشيد... حبس رؤساء قيس واحداً واربعين رجلاً من محارب فضربهم وحلق رؤوسهم ولحاهم[4].

كان المعروف بابي سالم بن همام الحلبي قد ولي مشارفة الديوان بدمشق... فظهر منه خيانات اعتدها... فخرج الامر السامي النوري بالكشف عن سعاياته فاقتضت الحال بان تحلق لحيته ويركب حماراً مقلوباً وخلفه من يماوه بالدرة وان يطاف به في اسواق دمشق بعد ستر وجهه وينادى عليه: هذا جزاء كل خائن وغاش[5].

سنة ٥١٥ قبض سليمان (ابن نجم الدين ايلغازي) حجاب ابيه فصفعهم وحلق لحاهم ومد يده الى اموال الناس[6].

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبدالله الباهلي الاندلسي المربي خرج ليلة وهو سكران من دار زين الملك ابي طالب بن الخياط فوقع وشج وجهه... واخذ المرآة فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقعته فقال من ابيات:

---

١) الكامل لابن الاثير ٥: ١٠٣
٢) الكامل ٦: ٤٣
٣) الكامل ٨: ٦٨
٤) تحفة ذوي الالباب ١٦٣
٥) ذيل الفلاني ٣٣٦
٦) زبدة الطلب ١٦٦٦ باريس ١٤٣

ووقعت منجاحاً على وجهي وطارت عمتي
وعلمت ان جميع ذلك من تمام اللدة
من لي باخرى مثل تلك ولو بحلق لحيتي[1]

اسامة امير مصر احصى الرهبان ورؤسهم ... واذا ظفروا بهارب او غير موسوم قدموه الى الامير فينقب اعصابه ويبقى اعرج ولم يكن يحصى عدد من شوه به على هذه القضية وحلق لحى كثير[2] .

لنافع بن خليفة القنوي :

فان تضربونا بالسياط فانا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وان تحلقوا منا الرؤوس فانا حلقنا رؤوساً باللحى والقلاحم[3]

سعيد بن عبد العزيز البيروتي قال كان عندنا قاضي قال للناس احلقوا لحاكم ... فحمل الناس كلهم على حلق اللحى فكنت لا تلقى احداً الا محلوق اللحية (ابن عساكر ٧:١٥٣) .

للوزير ابي الوليد بن طريف :

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته
(نفح الطيب ٣:٢٥٨) .

المقتدر ؛ من اللذاذات اربع : حلق اللحى الطويلة العريضة وصفع الاقفية اللحمية وشتم الارواح الثقيلة والنظر الى الوجوه الصبيحة المليحة[4] .

سبيل المزينين ان يصلحوا لحية كل احد على مقدار ما يليق بوجهه ... وان لا يحلقوا ذقن مخنث ولا يزينوا له صدغاً[5] .

اهل غانة هم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن شعورهن[6] .

للسيد الحميري في الهجو :

---

١) عيون الانباء ٢:١٤٥
٢) سير البطاركة لابن المقفع ٢:١٥١
٣) ذيل امالي القالي ٢:١١٦-١١٧
٤) خاص الخاص للثعالبي طبعة تونس ٤٣
٥) غاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المشرق ١٩٠٧ ص ١٠٨٢-١٠٨٣
٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري طبعة الجزائر ١٧٥

لحاني بحب امام الهدى وفاروق افتنا الاكبر
سأحلق لحيته اضا شرود على الزور والمنكر[1]

بعض الروس يحلق لحيته وبعضهم يفتلها كشل اعراف الدواب ويضفرها[2].

وجدت في حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشفردية شقر الشعور والوجوه جداً ، يتفقهون على مذهب ابي حنيفة رضه فسألت رجلاً منهم عن بلادهم وحالهم فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة ... من الافرنج يقال لهم الهُنكر ونحن مسلمون ... فسألته ولم تحلقون لحاكم كما تفعل الافرنج فقال يحلقها مما المتجندون ويلبسون لبسة السلاح مثل الافرنج اما غيرهم فلا[3].

ابو اسحق المزيد المدني ... غضب يوماً عليه بعض الولاة فامر الحجام بحلق لحيته فقال له الحجام اتفتح شدقيك حتى اتمكن من الحلاقة . فقال الوالي امرك بحلق لحيتي او تعلمني الزمر ؟[4] .

كان احمد بن سهل خليفة عمرو بن الليث على مرو فقبض عليه عمرو ونقله الى سجستان فحبسه بها ... ثم ان احمد طلب الحمام فادخل اليها فاخذ السورة فطلى بها رأسه ولحيته فسقط شعره وخرج من الحمام ولم يعرفه احد فاختفى[5].

سعيد بن عبد العزيز البيروتي قال كان عندنا قاضي قال للناس : احلقوا لحاكم فانها نبتت على الضلالة حتى تنبت على الطاعة . قال فحمل الناس كلهم على حلق اللحى فكنت لا تلقى احداً الا محلوق اللحية (لم تذكر وفاته) .
(تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٥٣) . (له صلة)

---

١) الاغاني ٧ : ١٣ — ١٤
٢) المسالك والممالك لابن حوقل ليدن ١٧٤
٣) معجم البلدان ١ : ٤٦٦ — ٤٧٠
٤) فوات الوفيات ٢ : ٣٨٠
٥) الكامل لابن الاثير ٨ : ٣٧

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٢٩ ــ ١٨٣٨ (تابع)

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

على ايام المطران بولس اروتين

(١٨٢٩-١٨٥٠)

جاء في «برنامج اخوية القديس مارون» الجزء الثاني — لمؤلفه يوسف خطار غانم (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٠٣ ص ٢٠٧ و٢٠٨) :

«ما كادت الابرشية الحلبية تصاب بفقد حبرها المطران جرمانوس حواء في ١٣ حزيران ١٨٢٧ حتى اتجهت خواطر الاعيان واتفقت كلمتهم على اختيار الخوري بولس اروتين خلفاً له.

فرفعوا نتيجة اقتراعهم الى البطريرك يوسف حبيش فكان ان رضي عن ايثارهم واستقدم المنتخب الى لبنان واحتفل بتسقيفه في ٣ ايار ١٨٢٩ فانشرح صدر الحلبيين على عمومهم رضاء...

بيد ان الذين ضرب الله على قلوبهم غشاوة شنعوا على المطران الجديد فاصدر الكرسي الرسولي براءة بابعاده. فسافر الى لبنان في ٦ تشرين الاول ١٨٣٢ ولم يعد الى ابرشيته الا في ١١ آذار ١٨٣٦.

فترى من التواريخ المذكورة ان سنتين مضيتا بين وفاة جرمانوس حوا وتسقيف بولس اروتين. وان بعد ثلاث سنوات من اقامته في حلب اضطر الى الرحيل الى لبنان ولن يعود الى كرسيه الا بعد اربع سنوات.

فما كانت اسباب تلك الحوادث الشاذة ومن كان السعاة فيها ؟

— فيما نحن في تأليف هذه الصفحات غدانا حضرة الاب اغناطيوس سعد الخوري اسقفي الحلبي المارونى الى مجموعة مكاتيب محفوظة في دار السيد الوجيه

ارنست عبديني في بيروت . فقصدنا اليه وتفضل فاعارنا تلك المجموعة . واذ نحن في تدوين الحوادث التاريخية عن حلب رأينا ان نعرضها الى القراء اجمالاً قبل ان نروي ما رويناه عنها في ما يخص المواربة وما اليهم : دفاتر السيد ارنست عبديني هي ستة كبيرة ، فيها مسودات المكاتيب التجارية التي صدرت من حلب . ان اوليات تلك المكاتيب موقعة باسم يوسف غنطوز كبه والتي تتلوها ليس عليها توقيع المحرر ولكن من معانيها يستنتج انها ايضاً من يوسف غنطوز كبه او احد ذويه كلها مؤرخة اما بالتاريخ الميلادي واكثرها موجهة الى التجار المسيحيين واما بالهجرى واكثرها موجهة الى التجار المسلمين او الى العمال في الحكومة :

الدفتر الاول	: فيه المكاتيب من	١٧٩٣	الى ١٧٩٥
« الثاني	: «	١٨٢٧	— ١٨٣٣
« الثالث	: «	١٨٣٣	— ١٨٤١
« الرابع	: «	١٨٤١	— ١٨٤٣
« الخامس	: «	١٨٤٣	— ١٨٤٥
« السادس	: «	١٨٤٥	— ١٨٤٨

والخط فيها تارة خشن وتارة رقيق والصفحات اكثرها مكتظة بالاسطر صعبة القراءة . وهي موجهة الى سائر المدن التي كان آل كبه يتعاطون التجارة معها شرقاً وغرباً : بغداد الموصل اورفا ماردين عينتاب اذنه دمشق بيروت لاذقية قبرص مصر دمياط ازمير سلامبول مرسيليا ولاسيما ليكورنا حيث كان مقيماً انطون كبه واولاده .

وبعض هذه المكاتيب موجهة الى كسروان في لبنان الى المقام البطريركي تدل على ان يوسف كبه كان وجيه الطائفة المارونية في حلب والمتعهد بشؤون اوقافها والمسؤول عن فقرائها في دفع الضرائب للحكومة وما الى ذلك من الاموال التي كانت تفرض من الباشا على الطوائف .

فكانت كلمة يوسف كبه مسموعة عند البطريرك وعند آلة حد الرسولي . فيحوم ويسعى ويتدخل في شؤون انتخاب المطران .

هذا وخدماته للطوائف مأثورة فانه يصدر المطلوبات من مال حلب ليس

فقط لآله التجار ولكن لرجال الاكليروس الحلبيين الموجودين في بلاد الافرنج ويستصدر الاواني الكنائسية . فالكرسي الرسولي يقدر له اتعابه ويلقبه بكفالير وما اسهل ما ان ينقلب اسم « كبه »[1] العربي الى « كوبا » فيوقع من ثم احدهم في تحريره الى البطريرك يوسف الخازن تهنئة عند جلوسه في ١ ت ١ ١٨٤٥ : « فتح الله مركيز دي غنطوز كوبا وكيل المجمع المقدس » .

ان مجموعة هذه المكاتيب هي باللغة العربية ويوجد غيرها من الوثائق بالايطالية عند السيد ارنست عبديني وهي جديرة بالدرس فتؤدي مادة لا يستهان بها لوضع تاريخ التجارة في حلب في اواخر القرن الثامن عشر وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر فتفيد عن المعاملات بين الشرق والغرب قبل فتح قناة السويس اذ كانت حلب في ازدهارها الاقتصادي فتعرفنا بالعملة واسعارها في المصارف وباموال القيان والمصنوعات وعن حركة السفن واتصالها بالاسواق الشرقية وبتجارة الحبوب والمجوهرات والاقمشة .

خلال تلك الصفحات الطوال تأتي خلسة تعليقات عن حادث محزن او مفرح وعن حكم صاحب التحرير بفلان او فلان من الذين يتعاطون الاشغال في عهده ولا اخالني مخطئاً في رواية ما يلي وهو على ملاحته لا يخلو من انتقاد لطيف :

[١٨٤٦] يوسف غنطوز كبه يكتب الى الحواجات كوبا في ليكورنا ١٩ ايار .

« سؤالكم عن حمي الاب نعمة الله ام اولاده رزق الله واخوته فنظرًا الى حال الحاضر

---

١) من امثال ذلك ما جاء ذكره في تحرير صدر من آل كبه في حلب الى ذويهم في ليكورنا في ٢٧ ك ٢ ، ١٨٤٦ .

« تعرجاكم باخذ شعاع من فضة لاجل زياح القربان المقدس يكون ثمن حده ١٥٠ ليرة (ايطالية) وترسلوه الى دير مارانطانيوس البدواني في ببيده وهو من اديرة رهبان الارقاء ليد الريس الفس انطون شرابابي وتفيدوا الفدر من حساجا وهذا يسير سكنة اليد ملسة حيث ثمن قليل وتعرفونا عن ذلك ولكم الثواب وان حررتم الى الريس مكتوب عرفوه ان مرسل من حرمة اخونا بحلب وان كان يترفق لكم بدلة قداس في ثمن مهارد يكون ترسلوا لنا لاجل الكاتبة حيث المرسولة قبلًا عدمت يكون معلوم » .

وهذا الشعاع قد يكون ذات الشعاع المشتمل على يومنا في كنيسة مار يوسف للرهبان في دير مار انطونيوس ببيدا اراانا اياه الاخ انطونيوس ضو المتي بشؤون المبد .

احسن منه في النصارى لم يوجد وان كان الاولاد هم ورثاه ومنذ صغر سنهم لهم رسال يشطوه بهم ولا يعرفو منه شيئا بل دايما يزيد وشل اليهود ما يعرف لهم سر » .

ويسخر رجال الاكليروس آل كبه للمراسلات بواسطة القافلات او عمال الططر وقد يؤدي الكلام في ذلك الى ابعد ما يرام لهذا المقال فاقتصرنا فيه على ما يحصر في نطاق درسنا ومنه التقدير ما للكرسي الرسولي من الفضل في حسم الخصام الناتج عن التزاحم على المطرانية اذ ينقسم الشعب احزاباً لها.

وفي ٢٩ ك٢ ١٨٢٨ كتب يوسف غنطوز كبه الى البطريرك حبيش :

« تقدم لطوباويتكم كافي وضمته تحارير من البلاد وصاونا مع الططر تشرفوا عليهم بخير . والآن لا يخفا شريف مسامعكم في ٩ الجاري صار الانتخاب الاسقفي بالقرعة والاصوات الاكثر لحضرة الاب القس عبد الله شيتا وبكل هدو وسلامة حصل القبول من الجميع لا سيما كونه مجمل بالصفات اللايقة والمطلوبة من الفطنة والدراية وحسن السلوك والتصرف وتقدم عرض من باقي الكهنة والطايفة يشرح ضرورة الانتخاب لكي يتمموا اوامركم بالقبول والطلب لتكرسوا مطرانا على ابرشية حلب وموجه ساعي من حضرة النايب بهذا الشأن فنروم بعد بلوغه السلامة والاطلاع تشرفوا ابنايكم في اوامركم المقدسة» .

ولم ينتج الانتخاب عن نتيجة حاسمة .

وكان يوسف كبه من حزب القس عبد الله شيتا فكتب الى البطريرك يشتكر صفات الناخبين . ولعله مصيب في كلامه ولكن ما كان احراه بالسكوت فلا يتداخل الا بما يعنيه والا فالثرثرة وكلام الغيبة نتيجته الفتنة والضرر للطائفة .

٣٠ تموز ١٨٢٨ بلغ شريف مسامعكم ضرورة الانتخاب المفسود لوجود الانقسام والتحزب فوجب ان نعرض حال الاشخاص المزورين في هذا الانتخاب ولا بد يحمل تحارير من بعض الكهنة بهذا الشأن :

اولهم : شكرالله مساعه هذا من كان في خدامة خسيف العقل رافائيل يجوتو الذي كسر ماله واكل غرش الناس . اخذ كافليرية القدس بواسطة الاساف لهذه الوظيفة في دعوى شكوي الارمن قطع الجرم على الكنيسة من غير تفويض الطايفة .

ثانيهم : الياس سرور بيش من ساطاة البطل وملك مواد الخصام ليأكل من الطرفين .

وهناك المدعو بولس اروتين . . . فيحمل عليه صاحب التحرير بتهات وشكاوي وظنون في سلوكه واستقامته بتدبير الاوقاف وبكونه محروضاً لا يصلح للاسقفية .

... لكن البطريرك اقر رأيه على تعيين بولس اروتين مطراناً على حلب. فكتب يوسف غطوز كبه التحرير التالي ... وفيه يقول اخيراً انه يخرج من الطائفة ... نزويه على علاته اذ هو ترجمان لحالة كانت ولم تزل موجودة بين البشر ومنها افادة لدرس تاريخ الكنائس.

« كروان البطريرك يوسف حبش لقد تقدم لطوباويتكم خلافه في ٧ اذار وبه كفاية. انشاء الله اشرفتم عليه بخير وبعده تشرفنا برسومكم المنيف المحرر في ٢٠ آذار الذي به تعرفونا بطلب القس بولس اروتين لتسيموه مطران على الابرشية ونوصلوا بنا الموافقة مع الشعب في ذلك. فقد ذهلنا هذا الامر كون لا بت[بد] صار محيط بشريف علمكم من تحاريرنا بعدم مداخلتنا في امور هذا الانتخاب. واما ان كان مراد غيطتكم استرضانا في المنتخب نظراً للمجمع اللبناني جذه المراجعة كرتها مع طلب المنتخب حتى وفي ملحق مبري فاقتضى ان نفترض خلاف ملاحظة من طوباويتكم وهي اما معتبرين تحاربر المفوضين لهذا الانتخاب في ان جميع الطايفة قابلين به وانه حصل بروح الاستقامة من دون رابطة أو لاجل عدم مداخلتنا يشك اننا لسنا قابلين في المنتخب والحال اعراضنا من الاول كان ملاحظين الاضرار التي سوف تحدث من هذا الانتخاب المفسود والمنتخب الغير مقبول لجملة اوجه صوابية شرعيه والباين طوباويتكم لاحظتم تحاربر اناس لا يهمهم خراب الطائفة والاضرار كون لا يدفعوا شيئاً من المصاريف لكي يصير لهم افادة اوليك الذين الان هم رومس الانتخاب مع ان وجودهم في الانتخاب فقط كافي لفساده بسبب سلوكهم وشهرتهم وجذا كفاية والحالة هذه قد استدعينا لحضرة نايبكم القس شكرالله ايوب لتوصله مرسوم غيطتكم الذي ضمنه التحرير بطلب المنتخب فاجاب اهم مستعيثين في الكرسي الرسولي والمجمع المقدس وان الطايفة الذين لهم ازود حق في الانتخاب مع الاكليروس عاينين عرض طوباويتكم لكي تختاروا من تريدوه سوى القس بولس لاجل اسباب معروضه لديوانكم وبعده حين عرض ظهر عليه مباغ ديون متبر ليس قادر على الوفاء مع زيادة مصروفه البدخ سوى في خراب الوقف والكنيسة بسبب ما تبقى لكي يقدر يوفي. واما ولدكم فما اعتبرت شيئاً سوى ان سلمت المكتوب بوقته لكي يوصله حسب امركم من دون ملاحظات صوابية وبما كانت ترضي طوباويتكم لو تبقي ذلك لمراجعتكم بما كون مكتوب الطلب من دون بمشورة للطايفة الذي قد صح عندنا ان زيادة التحاربر من اصحاب الغرض اقلقت طوباويتكم فقصدتم التبصر كيف يكون الحال بعد وصول تحريركم وبالاختيار تميزوا صدق التحاربر من الجهتين. ثم بلغنا ان حضرة النايب ارسل امر طوباويتكم برفقة كاهنين يخبروا القس بولس اهم مستعيثين ضد انتخابه ومعروض ذلك لديوانكم الموقر وللمجمع المقدس ويسلموه المكتوب وان حضر مكتوب الى شكر الله جيئه تخبروه في الطلب حسب

رغوبه واقتضى ان يؤلفوا عرضاً جديداً ويجبروا الناس على الختم به في اضم لم اجبروا احداً في الانتخاب واذا اتصاوا في التهديد لبعض اخيراً ثم ختام الامر في الضرب لمن ما اراد يختم واجاب بعدم القبول فهكذا حادث شنيع يحزن مهين اعتبار الطائفة من انام كذا يتم طوباويتكم استماعه وكذلك لباقي الطائفة ولولا تتير ظروف الايام لا بت [بد] كانت النهاية بحرية كبيرة للطايفة انما توفيق ربنا يجيب فساد المرض عضال والدواء الشافي من لدنكم ان اشرحتم توجهوا حضرة المحوري تقولا حبيش المحترم قاصد للفحص عن الانتخابات السابقة وبغطنته المشهورة يصلح الامور ويحصل المدو ونحن الذي جبرنا على الشرح بهذا الشأن هو لاجل منع الاضرار الروحية والزمنية التيد ان نصدر من التصرف الحاضر وليس لنا غرض مع احد ولا بحسنا كلمن ارتسم حيث ليس له علينا سلطان ما وبعده نظراً للاضرار الزمنية فعندنا طريقة للافرار منها وننتقل الى غير طائفة وتدفع لهم الاموال المبرية لكي نخلص من الضرر وجميع ذلك حيث ناظرين جيداً ان غاية هذه الأمور لا تم باقل ضرر من غاية ارتسام المطران مكسيموس مظلوم[1] وحاشا لحنوكم الابوي ان تسمحوا بضرر اولادكم ورعيتكم المظلومين من جور الزمان الذين ما لهم راحة سوى بعدم الجبر والراحة من طرف الامور الكنائسية فالآن ان خسروا ذلك لتنفيذ اغراض انام بخبيثين السجس فيحصلوا كخراف بدون سوّي تنظن عاد شرحنا كافي للاقناع وحبكم السلامة والوفق يلزمكم توقف ما سبق وسيتضح لديكم ان هذا المنتخب وجوده يتم للخراب وليس للعمار قصدنا احاطة شريف علمكم ثم ولا ريب لتلاحظوا صوبة بما تقدم نظراً لسجس الحاضر فان حرروا للقس بولس ان يتسلم الحرية في انتخابه واحد الذي يتحسن امامكم وبهذه الوسيلة يبطل التحزب الموجود كون ما نظن انه يخلو من اوتيكاط ما في امر انتخابه ويحصل المدو المرغوب من طوباويتكم ، ٢٧ حزيران ١٨٢٩ .

وفي غضونها يواصل يوسف غنطوز كيه سعيه في خدمة الاكليروس فيكتب الى المطران مكسيموس مظلوم وهو في رومية فيفيده عن المعاملات التي قام بها في الشؤون المادية ويعود الى قضية تعيين بولس اروتين اسقفاً على حلب والى المعارضة في سبيله مع كون الامر قد تم وسيم الخوري بولس اروتين اسقفاً على حلب في ٣ ايار كما ذكرنا سابقاً .

رومية مطران مكسيموس . . .

صندوقين الكتب وصاوا وبحيث ان صندوق الكبير في الطريق وقع في النهر وتفرغت

---

١) تنويه الى ما وقع من الحوادث والخسائر بسبب اقامة مكسيموس مظلوم مطراناً ثم بطريركاً على الملكيين .

الكتب ارم سلسلهم لحضرة القس شكرالله ايوب النايب البطريركي لتوزيعهم كرسوم[1] قدسكم الذي يرسم من يكون تجدد ايقف على الابرشية وكذلك سلمنا لحضرة شقيقكم صندوق الصليب وكتب الميته لتسليمه ونظيره الحواجات حوا ودروكلو[2] وحسون وبحيث كتب الميته برسمهم لحقهم التلف ازود فاستحسنا الاصلح بطلبهم من البقية من شدة [كذا] الانكليزيه وسلسلهم للمذكورين كما والمبين من سيادتكم شحادة لولدكم باسمه وبطيه الجواب تشرفوا عليه بخير ثم ارسم تدفع لحضرة الاب الحوري ميخائيل انطاكي ١٢ ريال عامود بموجب تحويل من سيادتكم لقبضه وبوقته دفعنا لحضرته ذلك وتسلمناه مظهراً واطلعنا على صورة حساب المطلوب من سيادة المرحوم المطران جرمانوس حوا ونحن سبقنا بهذا الحساب مع خلاف مطاليب كانت عليه الى الناس فقرا وبحال الزوم ليس لطلب حقهم بل للمساعدة وهذا الفرش كان يلتزم البيه بوقت الضرورة القصوى للواقف ام للكنيسة وعندما يدفع عنه تعويض وجهه (؟) قبض وفاته كما يقتضي للصواب والاستقامة ان تتصلم دفاتره ويتخلص ماله عند الوقف والكنيسة اقله فقط ليتدفع عنه الديون التي يطلبه لاربابها . فوضاً عن ذلك وجدت الامور بخلاف ومع خيانة شاسه وحساباته الغير مظبوطه اضاعوا حقوق سيادته وللآن باقية ديون غير مريدين اوفاهم وتسلم ذلك بيد اناس اشرار ملومين السمعه والسلوك متفقين مع القس بولس اروتين وساعدين الى بعضهم واضاعوا الحق بالمكر والتزوير الى ان كملوا غاية ساعيهم في انتخابه ايقف على الابرشية ونما عن الذين لهم حق الانتخاب بموجب تحديد المجمع اللبناني . وغبطة السيد البطريرك يبان صاغي الى راى اناس لا يسهم خراب الطايفة بعد ان تقدم تعاريز كافية بذلك والاشخاص الادنيا تسلطوا وذلك خيفة من ضررهم حيث عدا وجود واحدهم [شكرالله] ساعه في خدمة ذاك الظلوم احمد بك الذي جوزي بامر الدولة بما يستحق وثانيهم لياس سرور وتلميذه ابن عمشق الذين يتهددوا للطايفة في اعم يخبروا الحكام بجنايات عظام وهي ان المتوفى كان ابتدأ في عمار كنيسة وموجوده وانه كان رد للايمان انام[3] واذ كان موافق سهم المذكور ساعه فيخشوا البقية من بلوغ ذلك لمحلانه وتحصل الاضرار [برفع الوشاية والشكوى الى الحكومة التركية] . ومع ذلك وتوسط الاستانة من الاكليروس والارخندوس فطوباويته لا زال يزايد وكرس القس المذكور على كاتدرائية حلب فهذا هو الذي يجب ان نطلعه على حساب سيادتكم فلاجل امر نحن ما نقصر في تحصيل الباقي ولكن حسبا بلغنا من

---

١) راجع حوادث ١٨١٦

٢) قنصل فرنسة .

٣) « الذمي اذا فتن مسلماً عن دينه قتل في الحال »

(راجع سالم الغربة في احكام الحسبة ص ٤٥)

المنوري غائيل ان الحساب تراجع واعرض لقدسكم عن كنية الباقية ومع تجردنا من جميع هذه المداخلات حتى ولا اعطينا انتخاب قطعاً ولا رأي فمع ذلك حين رجوعه لحلب اخذنا مجهودنا مع الاكليروس لكي يسلكوا مع بعض في السلامة لرجوع المجمع المقدس بخصوص الاستفاتة المتعلقة بالديوان الرسولي ونوقف ذلك مع اخذال المحامين للاسقف المذكور وانابنا سريرة قدسكم بهذا الشرح لان ربما يبلغ شريف مسامعكم بعض من حوادث المحزنة ويقتضي تعريف الاشخاص المذكورين وما هو الاقتدار الذي كانوا يخشوه الاكليروس ام الطايفة وتروم لا تعفونا من اجتهادكم . ١٣ تموز ١٨٢٩

ويكتب غنطوس كبه الى الكردينال رئيس المجمع المقدس تحريراً في المعنى ذاته ويلوم البطريرك حبيش ويطلب ان يكون الاسقف غريباً عن حلب[1].

« ان هذه الاسطر تتضمن لتيافتكم الكلية الجلالة مخلف المتدم تديوانكم السامي من جميع اكليروس الطايفة المارونية عدا واحد منهم وبصوبة كلية ارى ذاتي ملتزماً ان اعرض لتيافتكم اسجاس كنيستنا بحلب بعد ان ابذلت مجهودي بنهم والتزمت ان انسحب على الظاهر من الجمهور لاني رأيت ان الكاهن المتميز في الانفاق بحادث الانتخاب عن البقية معيّر له حزب وان يكن قليل بالمعرفة وكما في الامور الديانة وزميم السمعة بل صادف سهم ان يتفقوا بهذا الامر عينه مع واحد موجود في خدامة المقام الرجل الظلوم (الذي بهذه الايام القريبة قطع رأسه بامر الدولة العلية) وكانوا يخيفوا الاكليروس لكي يتبعوهم على مرادهم وللبعض من الطائفة بتهديدات آيلة الى خراب الكنيسة . . . ان السيد جرمانوس حوا كان يرد النير مؤمنين الى الايمان وان في زمان حبانه كان ابتدا في عمارات اماكن ملاصقة للكنيسة قصده بذلك مع تمادي الايام توسيع الكنيسة واصبح يوصاوا ذلك للحكام في ان جميع ذلك يرضى وسرفة الموجودين قصدهم بذلك ان لا احد يمانعهم عن تمام مرغوبهم في اقامة القس بولس اروتين مطران على هذه الابرشية والسيد البطريرك من بعد تحارير كافية تقدمت لديوانه بشأن فساد هذا الانتخاب لم اراد بتعب الى جميع ذلك حينئذ فتكون انني الاشي مقاصدهم اذا اقيم غريب على كرسي حلب جده المرة . فبخطته كان يقول لنا تارةً انه لا يعتبر الانتخاب الموضح فساده في غرير انتخبين كما هو واضح من منشور غيطته الى شعب حلب في وصول الاسقف يقول هكذا اكملنا طلبكم باقامته اسقفاً فهذا نفّر كثيرين واعطام سبيل للتكلم الخ . فبرغي من كنيستنا صيرتني ان اتعب كثيراً والجئني الضرورة ان اقدم مبلغ واقر لاجل حفظها من غضب الحكام . . . »

---

١) قالوا ان الحلبيين لا يرضون عليهم الا باسقف حلبي ! . . . الحقيقة هي ان الاسقف النير الحلبي الذي عاش في لبنان وجوه الفسيح عسير عليه جداً ان ينحشر ضمن الدائرة الضيقة التي تتكون منها ابرشية حلب فلا يلبث ان يهجرها الى لبنان .

وان شيطان الخصام لم يمت وكان على يوسف غنطوز كبه ان يبكت ويستر على العيوب فتنطفئ شرارة الفتن عفواً ولكنه يعود ويكتب الى البطريرك يوسف وتستنيث الطائفة بالكرسي الرسولي وبعض ابنائه. الطائفة المارونية يتبعون الطقس اللاتيني فيقل بذلك عدد المكلفين في دفع الضرائب للحكومة ويثقل حملها على وكلاء الوقف واخصهم غنطوز كبه.

وفي ذلك العهد كانت قضية الاخويات تشغل المسيحيين كما شغلتهم قضايا الراهبة هندية في القرن السابع عشر فيذهبون في شؤونها شتى المذاهب الى ان يبطلها الكرسي الرسولي. (راجع دفتر اخوية عزيان الآرمن وما اليه ص٤٨ ؛ بيروت ١٩٥٠) لانها اتسمت بسمات «التصوف الزائف». وضل فيها اناس ليس من اهل العامة فقط ولكن من الاكليروس ايضاً ولعل المطران بولس اروتين كان ممن ناصروا العابدات في عباداتهم فيؤاخذ بذلك. ولهذا السبب مع ما سبق وذكره يوسف غنطوز كبه في رسالته الى البطريرك يوسف التي نشرناها يكون داعياً الى نفي المطران عن كرسيه. قال يوسف خطار غانم في كتاب «برنامج اخوية القديس مرون» (٢٠٨)

«ان اهل الفساد طيروا الفتنة والبث في الرعية وشنعوا على المطران بافاتت باطلة حتى تجرأوا ان يوصلوا وشاياتهم برسائل ذات اقتدار الى اذان الكرسي الرسولي حتى برزت رسولية بابعاد الخير الى جبل لبنان واليك نصها اخذاً عن اضبارة ١١١ اروبيم في حراسة موارنة حلب) وهي موجهة من البابا غريغوريوس السادس عشر الى البطريرك يوسف حبيش. ومن خلال تعريبها الاعجمي الركيك يستفاد ان الخير الاسقف يوسف مكانة البطريرك المارونية المعهود اليه بتدبير الطائفة الداخلي فلا يمسها البابا الا برامتنه».

ان الطائفة المارونية الجليلة لاجل ثباتها المتعاظم في الاعتقاد بالايمان الكاثوليكي واحترامها الفريد الاحبار الاعظمين وهذا الكرسي الرسولي قد استحقت ان يشاد بها غالباً من سلفائنا بدايح سامية. فانت ايها الاخ المحترم ذاتك المتقفي آثار قدمائك قد اوعدتنا مراراً عديدة بانك تتملق بهذا الكرسي المؤيد بنوع ثابت ومؤبد وذلك حينما كنا متقيدين بمشاغل انتشار الايمان المقدس وبعد ان ارتقينا ايضاً (ولو كنا غير مستحقين) الى كرسي بطرس. ولذلك نعتبر بانه يخص وظيفتنا وذاك الحب الخاص الذي تحبكم به بالواجب ان نوازركم في الضيقات وفي الاشياء المرتب بها لكي يضاف اشتداد قوة الثبات الرسولي

الى تلك الحوادث الواجب ان تنبى بواسطتك ذاتك لتستأصل الشكوك. انا لقد صرنا مطلعين على الاختلافات والمخاصمات الناشئة في حلب ما بين الشعب والاكليروس والمطران الماروني واننا بغم شديد عالمون بان الامور اتصلت الى هذا الحد حتى انه صار ضرورياً بالكلية ان تتصادم بالادوية الملايمة تلك الاضرار الاكثر ثقلاً التي ربما تستطيع ان تتولد. انه لاجل رياسة هذا الكرسي الاوفر استطاعة قد كنا بالحقيقة نقدر ان نامر بتلك الاشياء التي نحكم بالرب انها اكثر افادة لايجاد السلام في كنيسة الموارنة الحلبية. لكن قد اردنا بالاحرى ان نقدم لك برهاناً جديداً عن حبنا لك وعن الاجتهاد الذي قاسيناه لكي ان التهذيب والنظام المنتظم الى طلبات المرتب شرعياً يحفظان على قدر الامكان في كل من الكنايس الشرقية من غير ان تتثلم الامور الكنائسية. فمن ثم انت ايها الاخ المحترم ذاتك تأمر المطران الحلبي الماروني بولس اروتين ليأتي الى جبل لبنان ويستقيم في دير معين ليها يعبر ذاته من الشكايات المستنكر عليه بها اذ تعتني بانسان كنائسي مناسب لكي يتقلد له في هذه البرهة تدبير مشاغل الكنيسة الحلبية. انه من حيث تلطفت صرامة الحكم بحجة ابوية سيحدث ان الموارنة الحلبيين يتمتعون بذاك السلام الذي اوصى به ربنا يسوع المسيح رسله. ان علامة تلاميذ المسيح هو السلام المسيحي الذي رباطاته لا تستطيع ان تحل دون ان ينفتح سبيل الى الانشقاق والغلط حالما يرفع السلام من الوسط. فلتتذكرنّ بان وقر الاهتمام الرعائي هذا لثقيل جداً. اعني ان نتعب كثيراً! لان نكون باجمعنا قلباً واحداً ونفساً واحدة بوحدة الايمان والمحبة. انا لمؤكدون بانك لا تتغاضى عما يخص وظيفتك بهذا الشأن وبود وافر تمنح خوتك البركة الرسولية.

اعطي في دوبية حذا كنيسة القديس بطرس تحت ختم الصياد في اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة الف وثمانماية واحدى وثلثين وهي السنة الاولى لحبريتنا.

نشهد بصحة استخراجه عن اصله بكل ضبط المخوري بولس مسعد

الحقير

غريغوريوس بطرس بطريرك الارمن

عبد الاحد نيبتا

وعن امر السيد البطريرك الماروني شد المطران بولس اروتين رحاله وترك حلب الى لبنان .

وقد اطلعنا في المكتبة الشرقية اليسوعية على مخطوط (رقم ٧٧٠) عنوانه « الدفاع عن السيد بولس اروتن » يُذكر في آخره بانه قوبل عن النسخة الاصلية المأخوذة عن البادري فيشنسيوس رئيس رهبان مساري فرنسيس حافظ الارض المقدسة في حلب بامر القصد . اما مواضيع البحث فيه فهي :

١ً : توسيع سلطان القاصد الرسولي لوسانا .
٢ً : اثبات ربط المطران اروتين .
٣ً : تبرير الكهنة العصاة من القصاص المعرز عليهم من رؤسائهم المألوفين .
٤ً : كلام سفيه غير لائق ذكره وما اشبهه .
٥ً : ثلب رؤساء الكنائس الشرقية الموجودين بسوريا .

وصف الاب لويس شيخو الكتاب في مجموعة المخطوطات ان اصحابه المتحزبين للمطران بولس اروتين كتبوا ما كتبوا عن روح الانشقاق والعصيان. ومن خلال الفصول نفهم انهم كانوا يصطادون الكلمة ليرموها مادةً للفتن ويا ليت هذه الثرثرات ينتضي عهدها ولا تتكرر امثالها في زماننا .

على ان صبر المطران بولس اروتين اظهر براءته والكرسي الرسولي الذي كان قد ابعده عن حلب سوف يردّه اليها كما سترى في سنة ١٨٣٥ .

ابراهيم باشا المصري

وفي سنة ١٨٣١ خرجت تركية منهوكة القوى من حربها مع الروس وكان السلطان محمود قد أباد عسكر الانكشارية ولم يسمح له الزمان بان يستعيض عنه وكانت الاصلاحات المسماة « التنظيمات » قد ظلت حبرًا على ورق .

وكان في غضونها محمد علي عزيز مصر مستعدًا لمحاربة السلطان وقد تخرجت جنوده على ضباط افرنسيين وتمرنت في الحروب . وكان ابنه ابراهيم باشا في سن الاربعين حازماً شديد البطش فسار على رأس الحملة المصرية واستولى على دمشق وحمص وحلب .

[١٨٣١] « ومنّ الله بالفرج على البلاد الشامية بدخول ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر اليها فما لبث ان وصل حتى امن الناس في الحال على ازواجهم واموالهم وعدل في قضاياهم ونظم امورهم وسهل طرق المعيشة والراحة عليهم وكان ذلك في اواسط عام ١٨٣١ وبعد حكم ابراهيم باشا في الشام بدأ عصر التنوير والاصلاح فقد كان الذمي قبل ايامه لا يعد نفسه من الادميين فلما انتشرت راية العدل وعم الامن وتساوى الناس امام الحاكم وظهرت القوة التي كانت كامنة في الصدور خطا النصارى الخطوات الواسعة في ميدان الحضارة ونشطوا الى القيام بالاعمال الكبيرة ولم يزل اهل الشام يتحدثون بابراهيم باشا وايامه الى هذا الحين » .

راجع « خبر الشام عن نكبات الشام » (مصر ١٨٩٥ ص ٤٥)

وفي المكتبة الشرقية اليسوعية مخطوط رقم ١١٠ وهو عبارة عن قصيدة في مديح ابراهيم باشا المصري عدد ابياتها ٧١ متينة النظم بخط جميل بحبر اسود معلق عليه بحواشي بالحبر الاحمر ليس عليها اسم مؤلفها ولعلها من الشيخ ناصيف اليازجي . جاء في مطلعها :

« الله اكبر جاء النصر والظفر ... والامن واليمن لما ساعد القدر
واخضر روض الاماني في حاليه ... كاغبا جرّ فيها ذيله الخضر
واشرق المجلس المسعود طالعه ... بطلعة عن سناها الطرف ينحسر
اعني الوزير الذي اعتابه وزر ... به الوزارة كالعلياء تفتخر
العدل ينشر في ديوانه ابدًا ... والشرع يأمر والصمصام ينتظر
والحق يعلو على الاخصام قاطبة ... والعلم محترم والمال محتقر »

ويقيم المصريون في بلاد الشام حوالي ٨ سنوات تحت امرة ابراهيم باشا وتكون حلب مركزًا لحركاته العسكرية وتقع فيها حوادث نرويها من مصادرها وفيها تكملة لاخبارنا ومصداق لما روي عن ابراهيم باشا من حسن السياسة.

[١٨٣٢ ١٤ يوليو] طلب السردار حسين باشا قائد الجيش العثماني من اعيان حلب أن يمدوه بالمؤونة والرجال ولكن كان اهلها قد بغضوا الحكم التركي واشفقوا على مدينتهم ان يحل بها الخراب فأبوا ان يدخل احد من جنوده الى مدينتهم ولم يسمحوا الا للجنود الجرحى والمرضى بالدخول ثم اغلقوا ابوابها .

وقبالة عناد الحلبيين اضطر السردار الى مبارحة مدينتهم يوم ١٤ يوليو قاصداً اسكندرونة حيث كان يرسو الاسطول العثماني وقر قراره على اتخاذ مكان حصين لدى مضيق بيلان وساعدته طبيعة الارض على الامتناع بها .

اما ابراهيم فوصل الى حلب يوم ١٧ يوليو واضطر للاقامة فيها عدة ايام لتستريح جنوده وافاد من بقائه هناك بعد ان أوضح للاهالي من جميع الملل اهداف ابيه من قتال الباب العالي فانضموا اليه بعد ان تبددت نواياه وسمعوا خطباء المساجد يخطبون باسم خليفة المسلمين وفي اثناء اقامته جاءته وفود من اورفا وديار بكر تعلن خضوع المدينتين لحكم محمد علي .

(راجع : ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ص ٣٣٢)

— وفيها في ١٠ آب كتب ابراهيم باشا : « افتخار الاماجد الكرام سياف زاده ابراهيم آغا متسلمنا بحروسة حلب . . . وقد تحقق لدينا انواع المشقات التي تكبدوها الرعايا في ايام الولاة السالفين لكثرة التوزيعات التي تتحصل منهم عن مصارف الحكام وعوايد وغيره وعدا عن الاموال الاميرية ومن حيث ان الله سبحانه وتعالى قد انقذهم بادخالهم تحت ظل الحكومة المصرية فصار واجب وفرض عين التشبث باستحصال اسباب راحتهم وعدم غدرهم بمنع هذه التوزيعات عنهم وابطالها بالكلية فيلزم منكم بوصول [مرسومنا] هذا اليكم تتلوه جهاراً في محكمة الشرع الشريف بحضور كافة الاعيان والوجوه ويكون معلوماً عندكم انه عدا عن الاموال الميرية والمقننات العائدة الى الخزينة العامرة من الآن وصاعد لا تسمح ارادتنا بانه يوزع سليانه على الاهالي مثل عوايد متسلمين ووجوه وخدام ومصارفات وغيره ولا نصف فضه واحد وكلمن تجاسر ووزع شيء مثل هذا على الرعايا فيكون خالف امرنا . . .

كذلك الشاردين والواردين كل منهم يكون بيده امر بان يصرف لها ذخيرة فيصرف له بموجب الامر الذي بيده ويوخذ منه رجعه بقدر ما يصرف له وبموجبها [يخصم] الثمن على طرف الخزينة واما الذي لا يكون بيده امر اذا صرف له عليق وذخره فهذا على الذي يصرفه ولا يخص الاهالي من ذلك شيء والغاية الاهالي لا يطلب منهم الا ما كان عايد الى الخزينة فقط » .

(الاصول ٢ : ٢١-٣١-٣٢)

— وفيها في ١٩ آب انشئ المستشفى العسكري في حلب وطلبت له الادوات اللازمة من مصر . (المحفوظات ١٥٧٨)

— وفيها في ٢٣ آب قاضي حلب كوراني زاده السيد مصطفى المولى تلافه بمدينة حلب الشهباء. يجاوب ان امر ابراهيم باشا برفع الضرائب نافذ حرفاً بحرف.
(اصول ١ : ص ٣٥ — ٣٦)

— وفيها في ٣٠ آب ارسل محمد علي كتاباً الى قاضي حلب يعينه «مولا خليفة» في حلب ويوصيه بواجب المحافظة على النزاهة والاستقامة وحسن الادارة.
(المحفوظات ٢١٣٨)

— وفيها ٢ ت ٢ ارسل متسلم واعيان حلب كتاباً الى ابراهيم باشا التمسوا منه تخفيض عدد الانفار المطلوبين للخدمة العسكرية في حلب .
(المحفوظات ٢١٣٨)

— وفيها ٦ ك ١ انتدب ابراهيم يكن باشا عبدالله بابنبي زاده الى جمع الف وخمسمئة نفر غير نظامي في حلب . (المحفوظات ٢٣١٤)

[١٨٣٣ ٧ شباط] قاضي القدس مصطفى الخادمي رفع الى محمد علي عزيز مصر شكوى رهبان الروم في القدس واتباعهم صدور امر خاص يمنع الرهبان الكاثوليك عن التزيي بزيهم والتلبس بلباسهم .
(المحفوظات ٢٣١٦)

— وفيها في ايار صدر من مصطفى الخادمي القاضي في القدس الشريف مرسوم يضمن للكنيسة الروم الكاثوليك حقهم بلبس الزي الاكليريكي كباقي رهبان الروم بالقلوسة والاثواب السود ووافق عليها قاضي صيدا وقاضي بيروت.
(الاصول ٢ : ٦٣)

[هو الخصام «حول بالقلوسة»].

(راجع ما كتبه شارون في تاريخ البعثات الكاثوليكية بالافرنسية ٢ ، ص ١٧٢ وما بعدها .

خلاصته ان الروم الغير الكاثوليك لما رأوا ان الروم الكاثوليك نظموا طائفة رسمية لها حقوقها كباقي الطوائف المسيحية في السلطنة العثمانية عارضوهم في زيهم لئلا تعتبرهم العامة كالروم الاصليين وان هذا عين ما اراده البطريرك

مكسيموس مظلوم وحجته كانت : يا روم نحن الارثوذكس الحقيقيون وانتم باتباعكم فوسيوس انفصلتم عنا . . . وما زلتم تتزيون بزينا ! وكانت القلوسة التي اراد الملكيون التابعون فوسيوس ان يفرضوها على الكاثوليك رأسها على شكل مثمن الزوايا فابى مكسيموس مظلوم الا ان ينال من الحكومة الحماية على « قلوسته » والى يومنا يحفظ في دير الشير مكين لبنان قالب القلوسة الخشبي المثمن الزوايا !

وكذلك كان من امر لون ثياب الكهنة . وقد اراد الغير الكاثوليك ان تكون زرقاء. ولكن لبس الكاثوليك الثياب السود . . . وما زالوا بها الى ما شاء الله !)

[١٨٣٣ ٢٣ حزيران]توفي الاب عبدالله شبنا وسافر المطران يولس [اروتين] الى الجبل فتحرك الاب يوسف عبديني بالغيرة وبعد اخذ رأي الخوري بولس راجي نائب الاكليروس الماروني صار يجمع شتات الاخوة واعاد الاخوية الى نصابها الى السنة ١٨٤٧ وكانت اخويتنا بحالة هدوء وسلامة بدعاء مرشدنا بالرغم من الشكوك التي حدثت بسبب اخوية العابدات المذمومة .

— وفيها حضر المطران غريغوريوس شاهيات على طائفة الروم الكاثوليك واشترى دور للكنيسة . (وثيقة جوزف بوخه)

— وفيها صوفيا بنت يوسف حكيم اوقفت مسقفات على فقراء موارنة حلب وانطون ولد جرجس اوقف مسقفات على فقراء السريان وكذلك حسيبه بنت فرج الله واوقف يوسف واخته عرم ابنا انطون طارو مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب . (غزي ٣ : ٥٨٥)

— وفيها في ١٣ تموز ارسل محمد علي عزيز مصر الى محمد شريف بك في حلب يوافق « ما دام مجلس الشورى قائماً في حلب » على تعيين عبد الله آغا بابنى زاده متسلماً على هذه البلدة ويأمر اللاحدار آغا بالتعاون مع المتسلم نظراً لقلة اختباره . (المحفوظات ٣٥٤٧)

— وفيها في ٣٠ تموز ارسل عبدالله بابنى كتاب الشكر لابراهيم باشا وهنأه بانتصاره على ثوار فلسطين . واطلقت المدافع في حلب ابتهاجاً .
(المحفوظات ٣٥٩١)

[١٨٣٣ ٢٧ تموز] ارسل محمد علي عزيز مصر الى ابنه ابراهيم باشا كتاباً بوجوب ارسال بعض الاختصاصيين في صناعة النشوق (السعوط) وتحضيره من حلب الى مصر . (المحفوظات ٣١٢٤)

— وفيها في ٢٢ آب ارسل الصدر الاعظم كتاباً الى محمد علي يوصيه بالضباط والانفار الذين رخص لهم ان يزوروا اوطانهم في حلب .

— وفيها في ٢٣ ت ٢ احتج قنصل انكلترة في حلب قائلاً ان الاموال المطلوبة من رعايا دولته مخالفة للاصول .

— وفيها في ٢٣ آب ارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا يفيد انه امر اللواء اسماعيل بك بالسفر حالاً الى حلب ليشرف على اعمال الدفاع في الشمال وانه امر سليم باشا ايضاً بالتوجه الى حلب استعداداً للطوارئ ويستدل من مضمون هذه الرسالة ان هذه التدابير اتخذت على اثر الاستعدادات التي قام بها محمد رشيد باشا في الاناضول . (المحفوظات ٣٦٣٩)

— وفيها في ٣ ايلول ارسل ابراهيم باشا الى محمد علي باشا كتاباً بحث فيه قضية ارسال سليم باشا الى حلب للاشراف على التجنيد فيها .
(المحفوظات ٣٦٥٥)

ويرى ان الضرورة تقضي بابعاد عبد الرحمن المرعشلي وتقي الدين افندي وجايري زاده وابراهيم آغا متسلم حلب سابقاً وغيرهم من اعيان حلب الى دمشق ويرجو ارسال ٥٠٠ فارس عربي من مصر الى برّ الشام (المحفوظات ٣٦٥٦) ويرى (١٧ ايلول) ان يوفد سليم باشا الى حلب ليجمع سلاحها ويشرف على اعمال التأهب للطوارئ ثم يستحسن ارسال المجندين الى مصر لتدريبهم فيها نظراً لشدة البرد في بر الشام . (المحفوظات ٣٦٨٩)

— وفيها في ١٩ ايلول ارسل محمد منيب افندي الى ابراهيم باشا يفيد انه لدى وصوله الى حلب اذاع الامر السامي الذي يقضي بلم السلاح وشرع بتنفيذه . فنفر الاهالي من هذا الامر واظهروا عدم الرضى عنه وعن الفردة .
(المحفوظات ٣٦٩٤)

— وفيها في ٢١ ايلول ارسل يوحنا بجري بك الى سامي بك يفيد انه لم يتهِ بعد من لمّ السلاح من برّ الشام ولذا فانه لم يشرع في التجنيد (المحفوظات ٣٦٩٨)

[١٨٣٤ ٢١ ك ٢] ابراهيم باشا يأذن لبطريرك الروم بتعمير كنيسة السويدية وكنيسة بقرية سودية اللتان خربتا في الزلزلة . . . بشرط انهم لا يتعدوا حدود طولهم وعرضهم القديم ولا يتوسعوا عن اصلهم . صدر من ديوان ولاية جده وسر عسكرية مصر وارامكاه محروسة حلب. (الاصول ٢ : ٩٩)

— وفيها في ١٦ ايار ارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا يرى ان يحدد مدة الخدمة العسكرية فيجعلها ١٥ عاماً ويستطلع رأي السر عسكر في ذلك.
(المحفوظات ٤٠١٣)

وارسل الى محمد شريف باشا يوافق على بنا. كنيسة للروم في انطاكية اذا ثبت ان ليس لهم كنيسة فيها . (المحفوظات ٤٠٤٦)

— وفيها في ايار ارسل اللوا. حمزة بك الى ابراهيم باشا ينقل اليه خبر خروج الفرسان المصريين من حلب .

— وفيها في ٤ حزيران ارسل الكولونيل تشسنه الانكليزي الى ابراهيم باشا يحيط علماً بعطف الباشا سرعسكر واستعداده لتسهيل اعمال بعثة الفرات ويذكر حاجته الى الجمال لنقل المهمات من السويدية الى الفرات .
(المحفوظات ٤٠٨٠) راجع فيما بعد ١٨٣٥

— وفيها في ٧ حزيران ارسل محمد علي باشا الى محمد شريف باشا يحمل اليه عريضة بطريرك الروم الارثوذكس في دمشق التي تتضمن اعفاء القسس والرهبان من دفع الجزية والاعانة وذلك للدرس والتمحيص .
(المحفوظات ٤١١٥)

— وفيها ٤ تموز محمد شريف كتدخدا الخديوي وحكمدار بر الشام اقام متسلماً على حلب عبدالله آغا بابنسي زاده بعد وفاة احمد حسبي . وهو مأذون بالضبط والربط وتحصيل اموال الميرية والمرتبات المرعية . فيفتح عينه الى حفظ البلدة وصيانة ذوي الاعراض والطلوع من حق الاوباش . . .
(رستم ٢ : ١١٩ — ١٣٠)

— وفيها في ٧ آب قدم شريف باشا الى سامي بك عريضة رفعوا اليه اعيان طائفة الروم الكاثوليك في صفد يسترحمون فيها ان يؤذن لهم بانشاء كنيسة في بلدتهم ومع هذه العريضة عريضة اخرى من امضاء البطريرك مكسيموس مظلوم بالمعنى نفسه . (المحفوظات ٤١٥٤)

— وفيها في ١٥ ايلول ارسل ابراهيم باشا الى سامي بك بحث في ترقية اولاد العرب الى رتبة يوزباشي وفي ارسال ناظر يشرف على بنـاء الثكنة في حلب وفي الرسوم الكمركية التي تجبى عن القطن الذي يصدره السنيور پيچوتو قنصل النمسا في حلب . (المحفوظات ٤٢٢٩)

— وفيها في ١٦ ك١ ارسل محمد شريف باشا الى سامي بـك في التماس رهبان الروم في القدس ان يعفوا من دفع الضرائب الكمركية وعن الهدايا التي يقدمونها لبطريركهم في الآستانة . (المحفوظات ٤٣٧٧)

— وفيها ابراهيم ناظر الابنية في حلب الى اسماعيل بـك يرجو استحضار الزجاج اللازم لثكنة الشيخ يبرق من الاسكندرية . (المحفوظات ٤٣٨١)

— وفيها جورجي ابن يوسف بصال اوقف مستغفـات على فقراء السريان الكاثوليك والمطران غريغوريوس ديتري شاهيات اوقف مستغفـات على الروم الكاثوليك بحلب ومرتا بنت قسطنطين فتال اوقفت مستغفات على دير جبـل لبنان كسروان . (غزي ٢ : ٥١٥)

وكذلك كتر بنت قسطنطين فتال . وانطون ولد جبرا ماردينى اوقفـا مستغفات على فقراء السريان ويوسف ولد يغيا اصلان واختـه مريم على فقراء الارمن الكاثوليك وانطون ولد باصيل على فقراء الروم الكاثوليك ومريم بنت فرنسيس فقير [كذا] على فقراء الارمن الكاثوليك وكذلـك سوسان بنت انطون وسيده بنت اليان عجاقه على السريان الكاثوليـك وكذلك مريم بنت حنا صباغ وسالمه بنت نصري صعب اوقفت مستغفات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب . (غزي ٢ : ٥٨٦)

[١٨٣٥ في ١ ك ٢] شكا قنصـل الانكليز في حلب من تجنيد حاجب دائرته واقتحام ممثلي السلطة لمحله . (المحفوظات ٤٤١٠)

— وفيها في ٢٨ ك٢ تعين عبدالله دلال عضواً في مجلس الشورى . (المحفوظات ٤٤١٤)

— وفيها في ٥ شباط عظم جشع القصابين في حلب وتوجب تجريتهم بمبلغ من المال ينفق في تعبيد طرق حلب . (المحفوظات ٤٤٢٠)

وفيها في ١٨ اذار اوشه الوا[1] العلامة النباتي الافرنسي قدم الى حلب اتياً من استنبول على ظهر جواده مع قافلة قضت لا اقل من ثلاثين يوماً على الطريق. وكان الحكم لابراهيم باشا المصري. قال: «اباحوا شرب المسكرات وصاروا يأخذون عليها الضرائب. واخذوا بجمع السلاح والزموا الناس بتقديمه وصاروا يضربون بالفلق من لا يأتي به فاخذت اسماره ترتفع والفقرا. يظلمون.

وصادروا الدواب واخذت لتسفير الجيش الى الجزيرة العربية لقمع الفتنة فيها فوقف دولاب التجارة مع المناطق الداخلية. وكان الهوا. باردًا فاتلف شجر البرتقال. واخذ التجار الحلبيون يحلون محل الافرنسيين وغيرهم من الاوروبيين في تعاطي انواع الكوميسيون مع اوروبة فيزاحمونهم عليها وينجحون وينسحب الاوروبيون من السوق.»

وفي هذه السنة فتحت كنيسة مار جرجس الشرعوس لعبادات المسيحيين.

[١٨٣٥—١٨٣٧] كولونيل تشسنه الانكليزي رحل الى الشمال السوري وبلاد بين النهرين ليبحث شؤون الفرات ودجلة وكانت فكرته ان يضع تصميماً لفتح ترعة بين براجيك والسويدية وللملاحة بين خليج العجم وبين الجزيرة العراقية والبحر المتوسط ووضع كتاباً مطولاً في تاريخ هذه البلاد وثروتها ومرافق تجارتها. وان حلب هي العروة الوسطى في هذه الشبكة من الطرق بين الشرق والغرب. وقال ان طريق الهند البحرية كانت في القرن السادس عشر تنشعب فرقتين في البصرة: احداهما تجري عليها السفن من دجلة الى بغداد ثم كانت تحمل الى ديار بكر وسيواس وطرابزون الى البحر الاسود فاستنبول والثانية كانت تصعد الفرات الى براجيك ومنها تحمل الى حلب فالاسكندرونة ومنها الى اليونان وايطالية وفرنسة.

ان خروج التجار الاوروبيين من حلب كان من اسباب انحطاط التجارة في حلب فضلاً عن اكتشاف طريق الهند عن رأس الرجاء الصالح. حوالي ١٧٥٠ كان فيها اربعون محلاً للتجار البندقة و١٨ او ٢٠ للتجار الافرنسيين. اثنان او ثلاثة للانكليز. وكانت ست قافلات تخرج سنوياً من حلب الى بغداد. اعظمها

(١) Auchier - Eloy: *Relations de voyages en Orient de 1830 à 1838.* Paris, p. 170-180.

كان يعد ١٢٠٠٠ جمل واحقرها من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ . ومن ثم كان مجموع عدد الجمال التي تخرج من حلب سنوياً نحو خمسين الفاً ما عدى التي كانت تسافر الى دمشق وبيروت وكردستان وآسية الصغرى . وفي ١٨٣٢ امسى عدد المحلات الافرنسية واحد او اثنين ولم يبقَ للانكليز الا محل واحد (١ ص ٤٤٥).

عودة المطران بولس اروتين من المنفى

صورة تحديد المطران يوحنا المعدان اوثرنيه القاصد الرسولي الذي ارسله للسيد البطريرك يوسف حبيش في شأن رجوع المطران بولس اروتين الماروني الى ابرشية حلب .

(عن بكركي بالكرشوني)
مكان + الختم الكبير

يوحنا معدان بنعمة الله والكرسي الرسولي المقدس مطران ايقونيا وناثب رسولي على حلب وقاصد رسولي في جبل لبنان . يهدي سلاماً واماناً للسيد الكلي الشرف والاحترام البطريرك يوسف بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي . .

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام .

انكم لعارفون جيداً بانه قد منح لنا من مجمع انتشار الايمان المقدس سلطاناً تاماً لكي نحكم بتباني وباكثر تقدم فيما يلاحظ دعوى وحال السيد الكلي الشرف والاحترام بولس اروتين مطران حلب . فاذاً بعدما قربت تلك الاشياء التي قد كانت فُعلت وترتبت من سالفنا نظرًا لهذه الدعوى خاصةً بعدما تقدم الاحترام السامي الكلي للمرسوم الرسولي الاعلى الذي يقوله قد أُمر مطران حلب المذكور بان يسافر من مدينة حلب الى جبل لبنان وفيما نحن منكفون لتتميم مهمتنا .

قد فحصنا زماناً مستطيلاً وتأملنا باكثر تبصّر بالقضايا هذه واجمالاً المتقدمة لحكمنا التي كانت تلاحظ هذه الدعوى وبعدما بتأييد الله نأكدنا غاية التأكيد بانه ارتجينا الظروف ، لم يبق غب ذلك مانع البتة من ان مطران حلب المرقوم يرجع من جبل لبنان الى حلب . فيامر الكرسي الرسولي المقدس قد منحنا ونمنح باسطرنا هذه الاخ الموقر بولس اروتين مطران حلب سلطاناً واستطاعة يمكنه بجواز وحرية يرجع لرعيته ويسوسها ويتصل كل التصرفات التي تختص بالدرجة والوظيفة الرعائية والاسقفية . واما فمن حيث متذكرون بان الخير الاعظم ذاته رأس الكنيسة العامة ومتقدمها قد تنازل وقلدكم الاهتمام ايها السيد الكلي

الشرف والاحترام لكيما انكم ذاتكم تستدعوا باجتهاد المطران الحلبي المذكور الى جبل لبنان فنحن ولو بتواضع وبمزل عن القشابه اقتفاء بالاثار الكلية القداسة نلتمس منكم بالرب ايها السيد الكلي الشرف والاحترام لكيما انتم ذاتكم توضحوا حالاً حكمنا هذا للاخ المذكور بولس اروتين مطران حلب وتأمروه بان يرجع بسرعة من الامصار اللبنانية الى مدينة حلب ناصحين اياه نصحاً اخوياً بل بحرارة كلية لكيما اذا يقتدي بكامل الرضا بمشورات ونصائح رجل ما خبير وحكيم وعتق الاركان به فكر الافعال والوداعة الابوية واصدار حركات النيرة واخيراً بتصرف بهيئة مستقيمة ينبذ عنه بعيداً كل سبب الشرة بل انما يربح بدانه شهادة حسنة حتى من الخارجين جملياً الابتهاج لكل الصالحين. ثم فيا نحن منتظرون منه ان يتمم ذلك بامانة وبغيرة مقدمون لكم علامة الحب وشهادة الاحترام بتلهف نلتمس من الله تعالى ان يوفقنا جميعاً ويحفظنا على الدوام باشد السلام بقوته وبرحمته.

اعطي بحلب في ٥ شباط سنة ١٨٣٥

يوحنا مسدان مطران ايقونيا

نائب وقاصد رسولي

وفيها يوحنا المذبدان اوقرينه ونيس اساقفة ايقونيا النايب والقاصد الرسولي اعلن (٣ نيسان) .

— اولاً : انه قد قلبر في حلب مدرسة مجانية .

— ثانياً : ان مدرسة حلب هذه تصير في دير الاباء الكبوشية المكرمين وتحت ارشادهم (خان المير) .

— ثالثاً : ان قوانين للمدرسة المثبتة منا يطلع عليها رؤساء الطوائف الموقرون الذين عندهم تستطيع اهالي الاولاد ان يطلعوا على الشروط الموضوعة لقبول اولادهم .

— رابعاً : انه يوم الاحد ١٧ من الشهر الحاضر في الساعة التاسعة صباحاً يصير في دير الاباء الكبوشيين المكرمين افتتاحاً للمدرسة قداس الروح القدس وبعده يرتل شبه هلم ايها الروح الخالق والتلاميذ المقبلون يحضرون هذا القداس.

— خامساً : رسالتنا هذه الرعائية تقرى . تعلق في كل مكان يقتضي.

(اضبارة اروتين ١٨٥)

[١٨٣٦] وفيها في ١١ شباط صدرت رسائل من حلب تبحث في الآلات الجراحية التي صنعها اولاد العرب القادمون من اوروبة الى مصر وفي الورق

والحبر اللازمين لطلاب المدفعية في حلب . (المحفوظات ٤٤٢٨)

— وفيها في ٢٠ شباط صدرت من حلب رسالة ادارية مالية تبحث في امكانية تربية غنم طاوينوس في بر الشام وفي كيفية ادارة هذا العمل من الوجهة المالية . (المحفوظات ٤٤٣٦)

وغيرها تبحث في البغال المطلوبة لحملة الحجاز . (المحفوظات ٤٤٣٧)

وكان الجواب انهم لا يتمكنهم الحصول على عدد ٣٠٠ بغل دفعةً واحدة . (المحفوظات ٤٤٥١)

— وفيها في ١٠ نيسان . المدافع التي ارسلت الى حلب من عيار ثلاثة وتسعة ثقيلة للغاية لا يمكن نقلها بالسهولة المطلوبة ويرى ابراهيم باشا ان ترسل مدافع غيرها من عيار واحد ونصف وان تصنع عربات جديدة على طراز العربات الافرنسية الحديثة لعلها تعاون على سهولة جر المدافع الثقيلة والمدافع التي لا تصلح للعمل تبعث من حلب الى السويدية ومن حمص الى طرابلس لنقلها من هذين المرفأين الى مصر . (المحفوظات ٤٥٠٩)

وبحث ابراهيم باشا في ظهور الجراد في ايالة حلب وفي الترتيبات التي نظمت لمكافحته وفي المنشور الذي ينوي اذاعته بين الجمهور في بر الشام لارجاع النازحين من بر الشام الى اوطانهم . (المحفوظات ٤٥٢٠)

— وفيها في ٦ ايار اخذوا يكافحون الجراد في حلب ويساهم الجيش في هذا العمل . (المحفوظات ٤٥٦١)

— وفيها في ٣٠ تموز صدر القرار انه من الآن فصاعداً القناصل وتراجمتهم لا يتمكنهم الاستخدام بصفة دوميستك (عمال) اشخاص من الرعايا النافعين للجهادية . (المحفوظات ٤٦٦١)

— وفيها يوسف كسار ابن دير خضر الصائغ الارمني نسخ بحلب كتاب جرمانوس فرحات « باب الاعراب عن لغة الاعراب » والشماس يوسف المخلوطة نسخ « تفسير يوحنا فم الذهب لرسالة بولس الى العبرانيين » تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكي (سباط ٩٧٠) ويوسف انطون تيناوي نسخ كتاب « رياضة القديس فرنسيس كسفاريوس مع واجبات اخوية مريم العذراء .

(مخطوطات شيخو ٦٥١)

[١٨٣٧] سوف يترك المصريون اسمهم على الدراهم اجمالاً وقد تدعى الى يومنا « بالمصريات » .

اليك بيان اسعار المعاملة بالآستانة صرّات الضربخانة بحساب الليرة ١٠٩½ وذلك بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٢٥٣ ٢٠ ت٢ ١٨٣٧ واسعار المعاملة بحلب بحسب التنبيه .

بالآستانة		بحلب	
باره	غروش	باره	غروش
٢٥	٢٣	٠٠	٢١ غازي
٢٠	٤٩	٢٨	٤٥ بجر
٢٠	٤٩	١٧	٤٦ يالدز
١٥	٢٧	٢٠	٢٦ اسلامبولي [لين] ١٢ قيراط
٠٥	٠٩	٠٠	٠٩ ربية قندقلي ٦ قراريط
٠٠	٦٧	٢٠	٦٢ جهادي تاريخي
٠٠	٢٧	٢٠	٢٦ « يابس صف
٣٠	١٨	٠٠	١٨ عدلي تاريخي
٠٠	١٧	٠٠	٩٦ عدلي يابس
٢٠	٢٣	٢٨	٣٠ ريال عثمان
٢٠	٢١	٠٠	٣٠ ريال كرشه

هؤلاء بالآستانة بحساب الدراهم ١٦ قيراط ٣٦٢

النقدية التي تتوجه الى حلب جهتين :

١ً : جهة الواحدة الى الآستانة صحبة التاتارية والمعاملة التي ترسلها التجار هي الاصناف المشروحة اعلاه واسعارها بالآستانة مشروحة اعلاه تبدل في يوالس من الآستانة الى بلاد اوروبا .

٢ً : والجهة الثانية بحراً صحبة مراكب النار الى بلاد اوروبا واسعارها بتلك البلاد باعتبار العيار والوزن .

(المحفوظات ٣ ص ٢١٤)

وفيها في ٤ ايلول ارسل محمد شريف باشا الى سامي بك يحيط علماً

بشكوى التجار الانكليز من وفرة اسعار العملة في حلب وبالامر السامي الذي يقضي باستقرار هذه الاسعار فيفيد انه سبق له ان نبه اسماعيل بك الى ذلك من قبل . (المحفوظات ٥٠٨٥)

— وفيها تقدم اعراض من ناظر مواشي الميرية بحلب ويخبر به عن موت جمل من جمال الميري واستدعي تحقيق امر موت الجمل وعلته وايضاً يذكر باعراضه عن لزوم خدمة الى الجمال لكل خمسة جمال نفر واحد ويترتب لهم معيشة تقوم بهم (اصول ٣٠٤ ، ص ٩٧)

الحاج عبد الرحمن الخوام قدم معروض محال من طرف خكمدار حلب يتضمن ان من مدة اربعة اشهر اخذ من عنده خام للاكفان وانه طلب صرف الثمن من متسلم حلب فاحالة الى سليم بك ميرالاي السادس والمير المومى اليه امره باعراض ذلك الى خكمدار حلب فيستدعي صرف الثمن .

احيل الى مجلس حلب العالي العرض المتقدم من ميخائيل كبابه[1] المتضمن انه اخذ منه خيش الى لزوم الميزي بمعرفة متسلم حلب فيستدعي قطع الثمن وصرفه . (الاصول ٣٠٢ ص ٩٩)

قرر بمجلس حلب العالي من اوبابه الحاج يوسف آغا يكن زاده ان مصرف خان خيري بك سرابه مسدود ونجاسته في الطرقات جارية ويخشى من ذلك الضرر للعساكر الساكنين بالخان المذكور والى باير البريه ومن حيث ان الخان المذكور هو بايجار الميري فاذا صدر الامر بعمله وسها تبلغ مصارفه ينقطع على صاحبه الكرا . (الاصول ٣٠٢ ص ١٠٠)

النظافة في طرقات حلب

صدرت الارادة السنية لخكمدار ايالت حلب بتنظيف الازقة والاسواق من الاوخام والاسواق ويترتب لذلك مكنسين مخصوصين لكل محلة على قدر جسامتها ويترتب الى هؤلاء المكنسين اجرة معلومة تتوزع على دور المحلة وتعطى لهم .

---

١) يكون عميد آل كبابه ومنهم الاكسرخوس اثناسيوس كبابه (١٨٧٢-١٩٣٧) تلميذ اكليريكية عين تراز ، ومدير المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك في حلب

فتذاكر مجلس شورى حلب في القضية ورأى ان من حيث ان جل المرام تطهير الطرقات ورفع المفونة وامر ترتيب المكنسين الى المحلات هو من اللوازم استحضروا آغاوات الاثمان للمجلس وامروا بعمل دفتر باسماء محلات حلب والمكنسين التي تلزم لهم بعد تعديل الحارات ورتبوا لذلك قايمة ووجدت مناسبة.

اما اجرة المكنسين فاستحسن المجلس ان تكون الى النفر مساية غرش بالشهر فعلى هذا ينبغي اصدار خلاصات الى آغوات الاثمان بتوزيع ماهيات المكنسين بمعرفة الاختيارية (المختارين ؟) كل واحد ماية غرش على الدور الكاينة بمحلات ذلك الثمن كل دار بحسبها الشهري ويعرفوا المكنسين كيفية رفع الاوساخ كل يوم مرتين صباحاً ومساء وتطبيق السرابات المكشوفة وكل اغا من الاغاوات ينبه على حمامين محلته ان لا ينشروا داخل [الأميات] قامه خضرا ولا رطبة ولا بداخل المحله بل ينشروه بالاماكن الواسعة والبراري ثم اذا كان يوجد بالمحله جماعة فقراء فيتعافوا من دفع شيء. وكذلك الاغوات دايماً يدققوا على المكنسين بالتطهير وعلم المسؤولين عن ذلك بحيث اذا مر الطوف ووجد لم يحصل التطهير وفي الامر يجري الجزا اللايق بامور تلك المحلة ثم تصدر خلاصة الى سعادة حكمدار بك بالتحرير الى امراء الايات بان ينبهوا على الطوف بمداومة التردد الى الاسواق والازقة ويخبروا عن الذي يقع منه التكاسل من المأمورين وقرّ رأي المجلس على ذلك في ١٠ مارس ١٨٣٨ .

(الاصول ٣ و٤، ص ٩٠-٩١)

حنا جانجي قدم معروض محال من طرف سعادة حكمدار حلب يتضمن انه سابقاً كان عمل ثلاثة بدلات اوزان بمعرفة احتساب آغاسه لاجل ارسالهم الى بلاد كلس وعينتاب وانطاكية ليعيروا عليهم اوزانهم وللآن لم ياخذ ثمنهم واستدعى صرف الثمن .

(رسم ٣-٤ ص ٩٤)

حضر للمجلس المعلي نصري شلهب وبيده رجمه مختم ابراهيم افندي ناظر الاسبتالية تتضمن اخذ اربعة اثواب خاصة منه ويستدعي قطع الثمن — والاربعة اثواب خاصة لاجل الاكفان بالاسبتالية وانقطع ثمنهم بالمجلس ولكن ارباب المجلس استكثروا ثمن الخاصة المذكورة .

— وفيها في ٥ ك١ ارسل ابراهيم باشا الى محمد علي باشا يفيد انه منذ ان وصل الى حلب وصحته تتقدم شيئاً فشيئاً ولكنه يتأفف من البرد وقلة اسباب الراحة في المنزل الذي يقيم فيه ثم يفيد انه اشترى منزلاً له وانه يعنى باصلاحه وترميمه . (المحفوظات ٥٢٤٠)

وارسل ايضاً رسالتين اداريتين تبحثان في تعدي العساكر على وكيل قنصل الانكليز في حلب . (المحفوظات ٥٢٤١)

[١٨٣٨] وقع القرار الكنائسي بانفصال الرهبنتان الباسيليين الحلبيين عن الشويريين . وفي تحرير من القس كزنيليوس جريوع الى المطران بولس اروتين في ٢٠ ت٢ ١٨٢٩ يخبره عن افتراق الرهبانية الحلبية والبلدية وتقاسم الاديار عند الروم الكاثوليك فيقول : « قد افترقنا واخوتنا البلدية فطلع الذي يخصنا من الاديرة مار ميخايل الذوق ومار اشعيا النبي ومار جرجس الغرب ودير سيدة الراس واما اخوتنا طلع لهم مار يوحنا الشوير مع جميع متعلقاته والمطبعة ايضاً ومار الياس زحله ومار انطونيوس وغير محلات .

(اخباره اوروبيه ٤٢)

— وفيها في ٤ شباط سيم اسقفاً على الارمن الكاثوليك في حلب سارونيم عيواظ ونسمي باسيليوس . (عواد ٦ : ٩١)

— وفيها الخواجا شكري تاجر[1] مباشر خزينة حلب قدم معروض للمجلس العالي يتضمن انه ورد من اللاذقية ستون زنبيل ارز من ارز ولي النعم وعند الاطلاع عليه وجد فيه اربعة زنابيل غرقانين وجميعهم كسر وهم يرمن مثل التراب وانه قد سئل من المكاريه عن سبب تلف ذلك فقرروا ان الزنابيل وقعت بالماء بالطريق ومن حيث ان ارز الاربعة زنابيل تلف وعجز ثمنه فيستدعي حصول المذاكرة بما يرى مستحسناً لذلك فلدى المذاكرة رؤي من حيث ان الارز الذي يذكر عنه مباشر الخزينة هو اربعة زنابيل ثم باشر المذاكرة ظهر من مجاوبته انه حضر ارز عاطل غير الاولي ومجموع الناقص ثني عشر زنابيل وبالمجلس استحسن تعيين مأمور من ارباب صحبة احتساب اغاسه وتوجيه لمحل الارز

[1] آل تاجر من الروم الكاثوليك في حلب .

واخرجوا الصاغ لوحده والعاطل لوحده واتضح ان الذي طلع صاغ من الاثني عشر زنابيل هو ماية واثنين وستين اقة رز والجرك ثلاثماية وتسعة وخمسين اقه وقرروا ان العاطل المذكور اذا تيبس وانهز ربما يباع بسوق الدجاج كل اقه بعشر فضه او بخمسة وعشرين فضه فعلى هذا بنا ان سبب عطل الارز من كون وقعت الزنابيل بالماء والقاطرجية ما صار منهم تقصير ولكن يلزمهم ضمان نصف قيمة التالف ومن حيث ان الارز الذي ظهر جرك هو ٣٥٩ اقه فينبغي تسليم نصف ذلك الى القاطرجيه وكل واحد منهم يتسلم نصف الذي عطل بيده والخزينة تحاسبهم بثمن نصف الجرك بحساب كل اقه ثلاثة غروش والنصف الثاني العاطل يتسلم الى وكيل الارز وبيعه بسعر ما يسوي ويحاسب به الخزينة وكذلك يتسلم الذي ظهر صاغ اقه ١٦٢ وعلى هذا يلزم اصدار خلاصه ليشرح عليها حضرة حكمدار بك للخزينة باجراء العمل على الوجه المشروح ومحاسبة القاطرجيه على الكرا بتمامه كما تر الراي عليه بالمجلس العالي في ١٣ نيسان ١٩٣٨ .

(رستم ، الاصول ٤٣ ص ١١٤)

بتاريخ ٢٩ نيسان ١٨٣٨ انقطع بالمجلس ثمن كراسي صغار نظير الذين يستعملونهم بالقهوات كل كرسي باره ٢٨ ثمانية وعشرين باره وذلك واردين من طرف متسلم ادلب واخذوا لورشة دردنجي الاي بموجب رجمة الناظر المرقوم باستلامهم وتحرر لهم الثمن على ورقه من المجلس وختم بختم المجلس بتاريخه ولزومهم لاجل جلوس شاغلين المراكيب عليهم .

(الاصول ٤٣ ص ١٢٢)

— مات واحد وخمسون جملا من الميري وتر الراي على تحصيل ثمن تسعة منهم من الناظر حيث انهم غير ميرية والباقي يوقفوا على طرف الديوان لانهم ماتوا من الضعف واكلوا حشيشة الحرم . ويُضرب الناظر الف كرباج .

(الاصول ٤٣ ص ٢٠٨)

(يتبع)

الذكرى المئوية الاولى

لوفاة خادم الله الاب نعمة‌الله كساب الحرديني

(١٨٥٨ – ١٩٥٨)

بقلم الاب بطرس سازه اللبناني

مئة سنة مرت على جثمان رجل الله نعمة الله الحرديني الثاوي في ضريحه بدير مار قبريانوس كفيفان ، سليماً متماسك الاعضاء ، وكان وما زال ذلك الضريح مزاراً شهيراً وينبوعاً فياضاً بالشفية النفس والجسد . وقد رفعت دعواه الى رومية في السنة ١٩٢٨ مع رفيقيه خادم الله الاب شربل مخلوف والراهبة رفقا ، بعد ان تعينت لجنة خاصة قامت بالتحقيق المحلي بحسب الاصول القانونية وأجري الكشف الطبي بامر السلطة الكنسية ، على ذلك الجثمان الطاهر ، فوجد على سلامته ، صامداً ضد عوامل الفساد .

وكنا نتمنى ان نحتفل بتلك الذكرى المئوية السعيدة احتفالاً باهراً اذ اسعدها الحظ بان تلتقي هي والذكرى المئوية الاولى لظهورات السيدة العذراء في مغارة لورد (١٨٥٨) . ولان الاب نعمة‌الله الحرديني كان من اوفى واخلص المتعبدين للعذراء الكلية القداسة وفي طليعة من حملوا لواء عقيدة الحبل بها بريئة من دنس الخطيئة الاصلية ، بعد اعلانها عقيدة ايمانية في السنة ١٨٥٤ . وكان من اشد المحرضين على الانخراط في اخوياتها . وقد لفظ انفاسه الاخيرة وهو يقول : « فليكن مباركاً الحبل بسيدتنا مريم العذراء البريء من الدنس » .

اجل لقد كنا نفوز بتلك الامنية ، لو لم ترَ السلطة المختصة ان مثل هذه المظاهرات قد تقف عقبة في سبيل الدعوى ونجاحها . لذلك اعرضنا عن مثل هذا الاحتفال واكتفينا بهذا المقال عن حياة ذلك الراهب المثالية المشعة باسمى الفضائل واكرم الصفات ، بها اخذ وعليها نسج في حياة ملائكية تلميذه خادم الله الاب شربل مخلوف . فكان كلاهما بطلي رهبان سارا في طريق الكمال المسيحي بخطىً جبارة ورفعا علم الفضيلة عالياً في سماء لبنان وفاح شذا فضائلها فعطر سائر الاقطار وتردد صداه من وراء البحار .

ان لنا في تراجم اوليا. الله اعظم عبرة واسمى موعظة واسطع دليل على تلك القوة الروحانية التي تدسرغ من الانسان الترابي ملاكاً سماوياً وتأتي به من عزلة الدير وصمت الصومعة فتقيمه افصح لسان يذيع بمجد الله وتمثيل كمالاته الالهية في وسط سطت فيه المادة على الروح وطرحت بهذا العالم في مهاوي القلق والاضطراب مما عجز المفكرون واساطين السياسة عن مداواته باستقرار السلام الحقيقي .

على اننا نرى ان ألجع دوا. وأصلح وسيلة للسلام المنشود انما هو مطالعة حياة اولئك الابطال الذين ظهروا في العالم كالنيرات تضيء على المتسكعين في دجور الكفر والضلال فتقبل بهم الى نور الهداية والحق وترفعهم من عالم المادة الى اجوا. الروح بحيث يشرق عليهم ذلك الاشعاع الالهي بما فيه من خير وحق وجمال فيهتفون مندهشين : « تمجد الله في قديسيه » .

اليك شعاعاً من ذلك الاشعاع الروحاني يفسر تلك النفس البارة ويسطع في كل مرحلة من مراحل حياتها البالغة ذروة الكمال ولما تتجاوز العقد الخامس من العمر .

نشأته

على منبسط من جبال لبنان الشمالي — قضاء الكورن — تقوم قرية تسمى بيت كساب تابعة لقرية حردين المشهورة بحسن هوائها وصفاء مياهها ومائها وجودة اراضيها ، وبخرة ابنائها الذين عُرفوا بطيب عنصرهم وكرم اخلاقهم وشديد تمسكهم باهداب الدين القويم . حردين الرابضة في سفح ذلك الجبل لا يقل علوها عن البحر عن الالف متر تمتد عن جانبيها الاودية الكثيرة التماريج وتحفرها التلال من كل ناحية وتطل على منطقتي الكورة والزاوية ، حيث ترى البنايات الفخمة والبيوت العديدة بين كروم الزيتون الفضة ، كأنها جزيرة في وسط تلك البحيرة الخضراء الفسيحة الارجاء .

في تلك القرية الوادعة أطلّ طفل على الحياة في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٨) ، من والدين فاضلين هما جرجس كساب ومريم وعد ، قد ارضعاه مع الحليب لبان التقوى والفضيلة . وما اصطبغ بماء المعمد ، وأُفرغ عليه اسم يوسف

حتى لبس ثوب النعمة ناصعاً وأخذ يتسو بالقامة والحكمة امام الله والناس ، محاطاً بعناية والديه التقيين اللذين لم يدخرا وسعاً في تربيته التربية المسيحية الصحيحة باشرابه المبادئ القويمة والآداب السليمة بالقول والمثل. فشب الفتى على اساس البرّ والصلاح ومال بكل ما فيه الى حب الفضيلة ، تضرم قلبه نار المحبة الالهية فتنكب به عن لهو الصبيان اترابه وتدفعه الى ملازمة الهيكل على مثال الفتى صموئيل ، يدمن الصلاة ويحضر الذبيحة الالهية كل صباح .

واذ رأى فيه ابواه ميلاً شديداً واستعداداً حسناً الى القراءة ولم يكن في القرية مدرسة لتعليم الاحداث ، ارسلاه الى مدرسة الرهبان اللبنانيين التابعة لدير مار انطونيوس حوب قرب قصبة تنورين ، حيث اقام في بيت جدّه لامه . فانكب على درس مبادئ اللغتين العربية والسريانية وحقايق التعليم المسيحي مع بعض القواعد الحسابية ، كما كانت تسير عليه المدارس الابتدائية في تلك الايام. وكان من المتازين بين اقرانه. ولم يقصر همّهُ على تلقن القراءة والتمرن على الكتابة ، بل كان يأخذ عن اساتذته الرهبان الافاضل دروس الحياة الروحية النسكية راغباً فيها كل الرغبة .

وما تأهب واقدم على المناولة الاولى وحلّ جسد الرب في قلبه حتى ازداد اشتعالاً بنار المحبة للسيد المسيح سجين المحبة في سر الافخارستيا فاتخذه عريس نفسه لا ينفصل عنه مدى الحياة ، مترنماً بنشيد الانشاد : « حبيبي لي وانا له » (٢ : ١٦) .

وكنت تراه ، وهو فتى ، يصرف الساعات بكاملها امام القربان المقدس ، يناجيه مناجاة الابن اباه ويكشف له مكنونات قلبه. وكان مثال التلميذ النشيط يطيع استاذه اطاعته اباه ويصافي رفقاءه ويحبهم محبته اخوته . وكانت نفسه النقية ، بعد ان تغذت خبز الحياة وطعام الملائكة ، تزداد يوماً فيوماً تعمقاً بمعرفة الله وانشغافاً بكمالاته تعالى بحيث يراها ماثلة لديه في المناظر الطبيعية البديعة : فما مرّ يوماً بتلك البقعة من الصرود اللبنانية الفاتنة الا انبسطت لديه تلك المشاهد الرائعة الجميلة : جبالٌ شامخة تتفجر من بطونها الينابيع المديدة ، تحيط كالهالة بتلك السهول الواسعة وتصب فيها الحياة والخصب وتغنيها بالمزروعات وتجعل منها بساتين وجنات غناء .

كان يوسف الفتى يمتع النظر بتلك المشاهد البديعة ويغرق فيها بما اوتي من عقل ثاقب ومخيلة نقية صافية وايمان حيّ ، فيتمثل صورة الله في مخلوقاته ، ترحي اليه الجبال عظمة الخالق وقدرته غير المتناهية ، والمياه الفياضة جودته تعالى . والاشجار والازهار على مجاري المياه والمزروعات الغضة تصور له جمال مبدعها . ومنها يرتفع بناظريه الى القبة الزرقاء وعالم الفضاء فيذهل من ذلك المنظر العجيب وما فيه من نظام بديع ويهتف مع النبي داود المرتل : « السماوات تذيع بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (مزمور ١٨ : ٢) .

بمثل هذه الثقافة الشريفة السامية في باطنها وبذلك الاستعداد الحسن المبشر بما يكون هذا الصبي ، عاد يوسف الى بيت ابيه وانكبّ على مساعدة والديه بالاشغال البيتية مقدماً لهما طاعة الابن البارّ لا يعرف تعباً ولا نصباً في ارضاء الله تعالى وابويه . واذا تراكمت عليه الاشغال وتصبب جبينه عرقاً ، ذكر الآية الكريمة : « بعرق جبينك تأكل خبزك » (تكوين ٣ : ١٩) . يباشر جميع اعماله بهذه النية والروح الطيبة ، لا يعرف للبطالة وقتاً .

ولم يكن يهمل شيئاً من واجباته الدينية كالصلاة وسماع القداس كل يوم ومناولة القربان الاقدس بتمام الورع والخشوع . يقهر جسده بالامساك وضبط الحواس قمعاً لاهواء النفس واميالها المنحرفة وكبحاً لتزق الشباب وجماحه . وكان في آدابه ونشاطه خير مثال للشبان ارفاقه الذين كانوا يرون فيه صديقاً حميماً ومرشداً حكيماً يقيهم عثرات الشبيبة البطرة ويقودهم بمقود العقل السليم المستنير بنور الايمان الى ما فيه خيرهم ونجاحهم .

وما ناهز العقد الثاني من العمر حتى تكشفت له الدنيا عن غرورها وأحيت نعمة الله في قلبه وذهنه تلك التذكارات الجميلة يوم كان فتياً دارساً على اساتذته الرهبان امثولة الفضيلة والتقوى ، فشاقه ما كان يراه فيهم من الامثلة الصالحة وروح الزهد والنشاط والاعتكاف على الصلاة والعمل وغير ذلك من ضروب التقشف والعبادة وممارسة التأمل والصمت ، مما جعله يصغي الى صوت الله يدوّي في قرارة نفسه : « ان اترك عشيرتك وبيت ابيك واحمل صليبك واتبعني » . فلم يتردد في تلبية صوت الدعوة هذا . وما لبث ان سار في طريقه وملاك الرب يرافقه ، حتى وصل الى دير مار انطونيوس قزحيا ، دير الابتداء ، الرابض في

سفح الوادي المقدس والمشهور بقدمه وبكونه مزاراً يؤمه الناس على اختلاف نحلهم ومذاهبهم لنيل نعمة او للاستشفاء من مرض . ولقد لُقّبَ « قزحيا » اي كثر الحياة ، لما يجري الله فيه من الخوارق على يد القديس انطونيوس ابي الرهبان ، او لما يتدفق فيه ومن حوله من المياه الغزيرة الرامزة الى تلك النعم والمواهب .

المبتدئ

الى هذا الدير وصل الشاب يوسف كساب صاحب الترجمة طالباً الدخول في الرهبانية . وكان في دير قزحيا آنذاك الرئيس العام الاب اغناطيوس بليل[1] يقوم بزيارة قانونية ، ولما وقع نظره على هذا الشاب توسم فيه حسن الاستعداد ودلائل الرصانة والتقى ، فامر رئيس الدير وقتئذٍ الاب مكاريوس الشحروري بان يقبله . فامتثل الامر وادخله سلك المبتدئين في غرة تشرين الثاني السنة ١٨٢٨ . وهو في العقد الثاني من العمر . وحلّاه باسم « نعمة الله » ومنذ ذاك الحين عرف بالاخ « نعمة الله الحرديني » . وكان اسمه مطابقاً مسماه وجاء خير فأل لما يكون منه في مستقبل الايام ، اذ غمرته النعمة الالهية منذ الصغر وما برحت تزداد وتنمو فيه حتى بلغت به اعلى ذرى الكمال والقداسة .

وليس مخافٍ ما في الابتداء من الصعوبات والمحن ولا سيما في ذلك العهد . على ان الابتداء في نظر القديسين ، كما ترسمه قوانين الرهبانية ، هو كور التجربة ، فيه يمحص المبتدئ كما يمحص المعدن في النار . او هو مدرسة الفضيلة فيها يتخرج الطالبون على خيرة الآباء فطنةً وعلماً وتقىً ويسعون السعي الجدّي في تحصيل الفضائل المسيحية والرهبانية لتكون لهم عدة في المستقبل لبناء برج الكمال واصلاح ما فيهم من الشوائب ومكافحة ما يطرأ عليهم من التجارب .

---

١) هو الذي ترأس على الرهبانية مدة سبعة اعوام اي ٢٥ سنة متتالية بعد ان تولى رئاسة دير مار موسى الحبشي ودير مار انطونيوس قزحيا (١٧٩٩-١٨٠٥) وكان صديقاً حميماً للامير بشير الكبير حاكم البلاد وبهذه الصداقة تمكن من تأدية أجلّ الخدم للرهبانية ونشرها وله يرجع الفضل في انشاء ديري مار سركيس وباخوس في قرطبا ومار مارون عنايا حيث ضريح بخادم الله الاب شربل .

وما هي ايام وليال تنقضي حتى لمع نجم ذلك الطالب المبتدئ الجديد ، وظهر بما فيه من ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس تلك الفضائل واضعاً نصب عينيه مثال السيد الاعلى ، مقتفياً آثاره في طريق الصليب ، راغباً في ان يزداد كفراناً بنفسه وتجرداً عن الدنيا ، وعلى مثال ابيه القديس انطونيوس كان كالنحلة التي تجني العسل من الازهار يجني ثمار الفضائل من مرشديه واخوته ، فلا يرى فضيلة في واحد منهم الا أكبّ على ممارستها واقتباسها . ولا تقع عينهُ على نقص إلا أغمض الطرف عنه . وكان بسلكه هذا ونشاطه في اقام واجباته ، قدوة لجميع اخوته المبتدئين . لا يرتاح قلبه الا في مناجاة الله ربه . اذا قام الرهبان للصلاة نصف الليل ، استمرّ ساهراً في الكنيسة حتى الصباح وكثيراً ما كان يحيي الليالي بجملتها امام القربان المقدس لا يفارقه الا بشق النفس ، وبعد ان تأمره الطاعة فيخرج من الكنيسة مرغماً متنهداً باكياً .

ولم يكن أدق منه في حفظ النظام ولا اسرع الى مباشرة الاشغال . يستحضر الله امامه عند كل عمل يتعاطاه روحياً كان او زمنياً . ولكثرة ما كان يمارسه من الاماتات الشاقة ، خشي الرئيس على صحته وعلى الاخوة الراغبين في الاقتداء به ، فأوقفه على حدّ بحيث يكون في مأمن من التعرض لخطر المرض ، فلم يرَ بدّاً من الاذعان للنصيحة ولامر الطاعة المقدسة .

على هذه الخطة المثلى اكمل الاخ نعمةالله سنتي التجربة ونال ثقة رؤسائه ومرشديه ومحبتهم له . فقدموه لابراز النذور الرهبانية بعد ان استعد لها برياضة روحية مدة ثمانية ايام كما تنص القوانين ، فابرز نذوره الاحتفالية في ١٤ تشرين الثاني السنة ١٨٣٠ وافرغ عليه الاكليم الملاكي رئيس دير قزحيا الاب مكاريوس الشحروري .

ولا تسل عما ناله من الفرح والابتهاج بعد ان قدم ذاته بالنذور محرقة كاملة لله ، موقناً انها معمودية ثانية غمرت نفسه بالنعمة وخولته حرية ابناء الله واعتقته من قيود المادة والمحبة الذاتية ، فاصبح كالنسر يحلّق في الاجواء الروحانية . لا همّ له الا بما عاهد الله به يحفظ المشورات الانجيلية بكل امانة ودقة ، عاقداً القلب على الكفران بالذات وحمل الصليب وراء الاله الفادي ، متغلباً على ما يعترضه من مصاعب وعقبات . يسير بقدم راسخة ونفس جريئة وعزم شديد

وايمان متين ، مرددا قول رسول الامم : « أما انا فحاشى لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وانا صلبت للعالم » . (غلاطية ٦ : ١٤) .

الراهب الدارس

أرسل الاخ نعمة الله بعد ابرازه نذوره الى دير مار قبريانوس قرب قرية كفيفان ، ليكون في صف الاخوة الرهبان الدارسين . ولم تكن المدرسة في ذلك العهد على دقتها ونظامها الحالي ، فان الرهبان الدارسين كانوا يتعاطون مع الدرس الاشغال اليدوية في الحقل كالحصاد ونقب الارض وتربية دود الحرير والقيام بجميع الخدم الديرية ، وممارسة الصلوات الفرضية في الخوروس حتى صلاة نصف الليل بوقتها مع الرتب البيعية . وبالرغم من ضيق الوقت كانوا يتقنون اللغتين العربية والسريانية ويدققون في علم اللاهوت الادبي ودرس بعض القضايا الهامة من اللاهوت النظري .

وقد تخرج في هذه المدرسة منذ افتتاحها (١٨٠٨ — ١٨٧٤) ، نحو مئتين وستين كاهناً اشتهر كثيرون منهم بعلمهم وقداسة سيرتهم كصاحب هذه الترجمة ورفيقه ، تلميذه الاب شربل مخلوف وغيرهما ممن أتوا بأجل الخدم والاعمال في الرهبانية والطائفة . ومن تلاميذ هذه المدرسة الاب انطونيوس الفغالي الذي اتقن اللغة العربية ووضع فيها بعض تآليف في فن العروض وارجوزة في المعاني والبيان وكتاب « ينبوع السلوان في زيارة القربان » ، لاجل الانفس المطهرية ، وقد جددنا طبعه (١٩٥٦) لما فيه من الصلوات الحارة والعواطف الشريفة[1] .

عرف الاخ نعمة الله ارادة رؤسائه في تعيينه بين مصاف الاخوة الاكليريكيين فانكب على الدرس والمطالعة بجل قلبه وحسن استعداده وكان الله تعالى ينير عقله وفهمه فتسهل لديه كل صعوبة في تحصيل العلوم وبخاصة

---

١) وله ايضاً معجم في اللغة العامية . وكان يرجى منه الشيء الكثير لما تحلى به من مواهب نادرة واخلاق كريمة كما يشهد له اساتذته وبينهم الاب نعمة الله الكفري الذي كان معجباً به آسفاً شديد الاسف على فقده اذ فاجأته المنية ولم يتم العقد الثالث من العمر (٢٦ سنة) .

العلوم اللاهوتية التي امتاز فيها حتى كان يقصده الاخوة الدارسون لحل بعض مشاكلها. يطرحون عليه الاسئلة مهما كانت صعوبتها، فيجيب عليها بكل وداعة ورصانة واذا حمي وطيس الجدال في قضية، كان يبادر اخاه، كما يفرض القانون، بكلمة «اغفر لي» وعندها يُحسم كل جدال. وكانت ترنّ في اذنيه آية الرسول: «العلم ينفخ والود يبني» (كور ١-٨: ١) فينبذ بعيدًا كل فكر عجب وكبرياء، ولم يكن ليكتفي بركم مواد التعليم في ذهنه فقط، بل يعمد الى تثقيف العقل والقلب والارادة فيصهرها في قالب الكمال الانجيلي، عالمًا ان تلك هي الثقافة الصحيحة التي بها تبنى الشخصية الانسانية والقداسة الحقة وبها تستقيم الاحكام في الاشياء والاشخاص، ويرقى الانسان مراقي النجاح والفلاح. وقد وضع نصب عينيه هدفًا واحدًا لا يحيد عنه قيد شعرة، هو محبة الله والقريب في الله، موقنًا أنّ كل كمال وخير انما مصدره الله وحده اصل كل علم وحكمة. فاخذ يبالغ في حفظ القوانين والفرائض الرهبانية، حتى كاد يؤدي به التدقيق فيها الى المرض والوسواس.

فظن الرؤساء انه في حالته هذه لا يقوى على متابعة الدروس اللازمة للكهنوت. فأمروا بفصله عن الاخوة الدارسين وارساله الى دير مار موسى الحبشي في المتن. فامتثل الامر حالًا معتقدًا ان هذه ارادة الله فيه. ما همّه ان يكون في الرهبانية كاهنا او راهبًا اخًا بسيطًا، بل حصر كل همه في ارضاء الله تعالى وتقديس نفسه. حسبه ان يصل الى غايته هذه باحدى الطريقتين كما يريده الله. فسار الى دير مار موسى حيث وجد متّسعًا من الوقت للاستغراق في بحر المحبة الالهية وما لبث مدة حتى اخذ يزيد في ضروب التقشف والاماتات والدقة في حفظ القوانين والقيام بجميع ما يكلّف به من الخدم الديرية، فادهش الناظرين اليه من رهبان وعالمين، فاعجبوا بما كانوا يرون في هذا الراهب الشاب من سمو الفضائل وجليل المناقب. فاحبه الجميع واتخذوه قدوة لهم في القداسة والكمال المسيحي.

لا يبعد ان تكون شهرةُ تقواه وقداسته هذه، مدة اقامته في دير مار موسى، قد تركت ذكرًا طيبًا واثرًا عميقًا في قلوب من عرفه او سمع به في جهة المتن من المجاورين والبعيدين، حتى شاءت العناية ان تخص تلك الناحية من

جبل لبنان بأوُلى وابهر معجزة اتاها الله عن يد صفيه هذا بعد وفاته ، كما سنرى.

لذلك كنا وما زلنا نرى الكثيرين من جهات المتن ، ممن نالوا الاشفية العجيبة بواسطته ، يؤمون دير مار قبريانوس كفيفان لايفاء نذورهم ولزيارة ضريحه والتبرك بجثمانه واخذ شيء من آثاره .

على ان العناية الالهية نفسها التي جعل كل اتكاله عليها ، كانت ترعاه بعينها الساهرة ، وتسنده بذراعها القديرة ، مُعِدة اياه لامر خطير ، فأوجبت على الرؤساء ارجاعه الى دير كفيفان لاستئناف دروسه تحقيقاً لما يعلق عليه من الآمال نظراً لحسن سلوكه واستعداده العلمي ، وتفوقه على رفاقه الذين هللوا لرجوعه اليهم ، لما كانوا يستفيدون منه فضيلة وعلماً .

عاد الاخ نعمة الله الى ما كان عليه من نشاط ودقة في القيام بجميع واجباته الرهبانية والمدرسية . وكان يتعاطى فوق عمله العقلي ، مهنة الخياطة وترتيب ثياب الاخوة وتوزيعها وغير ذلك من الخدم ، سالكاً مسلك الراهب الصالح الذي لا هم له سوى ارضاء الله ربه بحفظ نذوره ، عالماً ان جوهر حياة الراهب وكيان الرهبانية نفسها قائم بحفظ النذور الثلاثة : الطاعة والعفة والفقر الاختياري التي هي اشبه بثلاث حلقات متماسكة بعضها ببعض بحيث يكون انفكاك احداها سبباً لانفكاك غيرها ، ولذلك يحذرنا الحكيم بقوله : « أن لا تنذر خير من ان تنذر ولا توفي » (الجامعة ٥ : ٣) .

رسخت هذه الآية في ذهنه ، فقام بايفاء نذوره على اكمل وجه جاعلاً مثاله الاعلى يسوع المسيح مصدر جميع الكمالات ، القائل : « انا الطريق والحق والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦) ، فلا طريق اذن الى الكمال ولا هداية الى الحق ولا حياة مسيحية ورهبانية ، إلا بالاتحاد به تعالى اتحاد الغصن بالكرمة ، كما صرح بقوله عز وجل : « انا الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيَّ وانا فيه يأتي بثمر كثير لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » (يوحنا ١٥ : ٥) . على هذه الآية الكريمة جعل الاخ نعمة الله دستور حياته ومحور جميع اعماله مقتدياً برسول الامم القائل : « ان حياتي هي المسيح . . . (فيليبي ١ : ٢١) . انا حي لا انا ، انما المسيح هو الحي فيَّ (غلاطية ٢ : ٢٠) رأى المسيح طائعاً حتى الموت فمات تنازله عن ارادته الذاتية مستسلماً لارادة الله التي كان يعتبرها

مجسمة لديه بارادة الرئيس. اذا دعته لامر او لعمل، سمع صوت الله يناديه ونظر الى الرئيس نظره الى شخص المسيح كما يفرضه القانون. وكان يؤثر المرؤوسية على الرئاسة شاعرًا بما عليها من عظم المسؤولية. لذلك لم يكن يقبل وظيفة الا اذا انتدبته السلطة مباشرة، او بطريق الانتخاب القانوني، كما وقع له ان انتخب ثلاث مرات لوظيفة المدبرية.

ولم تكن الوظيفة في نظره سوى خدمة في جنب المصلحة العامة لاجل فائدة الجمهور، كان يقوم بها بمنتهى التفاني والاخلاص كما شهد بذلك كل من عرفه مديرًا واستاذًا للمدرسة الرهبانية في دير كفيفان مدة ست سنوات كان فيها مثال المثقف والمربي الحكيم يبعث في عقول تلاميذه، مع العلم روح الفضيلة والتحلي بالتقوى الصحيحة، والرغبة في احترام السلطة التي هي من الله، مشوقًا اليهم الصعود في درجات الكمال درجة درجة، يرشدهم بنصائحه الابوية، ويقودهم بمثله الصالح، ويمكن القول: انه كان لهم ولغيرهم في الرهبانية، قانونًا حيًا في حفظ النظام الديري، موقنًا ان السير بحسب النظام على ما توجبه الفرائض، هو اقوى سلاح لمكافحة البطالة امّ الرذائل، وأضمن وسيلة للسلوك بروح الطاعة المقدسة.

اما عفافه، فحدث عنه ولا حرج. لقد تسامى بهذه الفضيلة، الى حد انه كان فيما اشبه بالملاك منه بالانسان اللابس الجسد الضعيف. وبما انه كان بمزاجه العصبي معرّضًا لكثرة التجارب، اعتصم بنعمة الله واخذ يروّض ما فيه من الاميال والشهوات الطبيعية ليقيم من جسده هيكلًا للروح القدس عاملًا بقول الرسول: « اقمع جسدي واستعبده لئلا ارذل انا الذي بشرت آخرين » (١ كور ٩: ٢٧).

ومما يروى عنه انه لما كان في دير قزحيا جاء الدير زائرًا احد علماء النفس العارفين بالفراسة. واذ وقع نظره على الحرديني وتفرّس فيه قال لاحد الرهبان: « كيف يمكنكم ان تقبلوا بينكم هذا الرجل الشهواني؟ » فاجابه الراهب: « ماذا تقول، انه لقديس عظيم نقتدي بفضيلته وطهارته » فاردف السائل معجبًا: « ان كان كذلك فهو حقًا اعظم مكافح، لاجمّ جماح الحيوانية في الطبيعة البشرية ».

ان مزاجه العصبي كان يميل به ويعرّضه الى أشد التجارب، ويزجه في ثوران

الشهوة ، فيشعر بداخله شعور القديس بولس ، بان فيه سنّة تناقض سنّة ضميره فالخير الذي يريده لا يعمله ، والشر الذي يأباه ، يرى نفسه مائلة اليه (رومية ٧ : ١٥ و ٢١) فيصرخ مع الرسول القائل « من ينقذني من جسد الموت هذا ». لذلك كنت تراه يبالغ في قمع الجسد الى حدّ غير مألوف ، ممارساً جميع انواع الاماتات ، جاعلاً من اسكيمه لثاماً او حجاباً على عينيه حتى لا ينظر الى امرأة ، او الى فتى امرد ، مردداً قول ايوب البار : « عاهدت عينيّ ان لا افطن في عذراء » (ايوب ٣١ : ١) بل اذا صودف ان رأى في طريقه ما يعرّضه للتجربة ، تحوّل عن الطريق فراراً من السبب . وكان البعض يعدّون تصرفه هذا ضرباً من الجنون او المغالاة والوسواس . ولم يكن ذلك منه ، الا حفاظاً على زنبقة طهارته ودرتها الثمينة فلا تمس باذى .

وما ذلك الا لما كان يحس به من حدّة الشهوة وثورانها . ولا عجب في الامر . فان القديسين أرقّ الناس شعوراً ، ولا حدّ لعطفهم وعاطفتهم وشديد رغبتهم في محبة الله والقريب. وهم في معارك الطهارة يكافحون مكافحة الابطال ، مدججين بسلاح النعمة الالهية وترس الايمان وعزم الارادة القوية ، لتكون النفس سيّدة لا عبدة رقّ للجسد. ويبقى مثالها الاعلى ما هو فوق الطبيعة ، تتزع اليه وترغب فيه. وبما ان الطبيعة نفسها هي مدخل النعمة ومقرّها ، تكمل وتتجمل وترقى بتأثير الروح القدس الحال فيها ، دون ان تفقد شيئاً من كيانها الطبيعي وفاعليتها ، لذلك لم تكن النعمة لتطفىء. فينا نيران الشهوات ، بل انها تروّض جماحها ، وتحسن تنظيمها بلطف ، مقدمة لها غذاء اسمى واشرف. على ان الشهوة قوة وشيء حسن بذاتها ، شرط ان تعدّل وتنظم. لذا قيل بصواب: « لا اقوى من الشهوة في العابدين المغرمين بحب الله تعالى وما من قلوب اطيب فطرةً واشد حباً وحرارة من قلوب القديسين » . وان كانت المحبة في اعماق جميع الشهوات ، كما تعلّم الفلسفة ، وهي تعبّر وتفصح عنها ، فهلّا تكون ديانة يسوع المسيح اقوى ضمين ومهذّب للشهوات . وهي ديانة المحبة الصادقة والمتفانية في عمل البر والصلاح ؟

على هذه الخطة الشريفة سار رجل الله الحرديني في ترويض ما كان يتنازعه من الشهوات الجسدية بعد ان صبّها في قالب الامانة ، واحكم قيدها بالنظام

والقانون ، موجهاً بها الى هدف سام فوق الطبيعة ، مستفيضاً من اللذة الجسدية ، بلذة سماوية سامية ، اليها ترتاح نفسه ، وعندها يسكن ضميره ، ونحوها يصرخ مع الملك والنبي داود : « من يعطيني جناحي الحمامة لاطير واستريح (مزمور ٥٤ : ٧) . لقد جعل كل راحته ولذته في يسوع حبيبه ، الاله المتأنس ، فادي البشرية ، وحبيب القلوب ، وموضوع كل حب وكمال وجمال . وهل من جمال او كمال او غبطة يسكن عندها القلب البشري مثل هذا المثال الاسمى ، ولهذا كان رجل الله مستغرقاً في هذا الخضم ، ولا يلذه سوى التمتع بذلك الجمال والكمال الالهي الباهر . بذلك تظهر روحانيته بوجه اخص . وقد آلى على نفسه الا يميل بقلبه الى محبة خليقة الا في ذلك الجوّ الصافي النقي ، فتحصن في ديره واحاط زنبقة طهارته بسياج اشواك الاماتة والتقشف لتبقى ناصعة البياض نضرة ، موقناً أن جسده انما هو هيكل الروح القدس يحفظه شريفاً نظيفاً . ولما علم ان تلك الزنبقة الجميلة لا تعيش الا في تربة التواضع ، وفي جوّ الاماتة ، غذاؤها الصلاة والعمل ، أخذ بممارسة هذه الفضائل على الوجه الاكمل .

درس على معلمه الالهي ، وهو التلميذ الحكيم العاقل ، هذه الامثولة الشريفة : « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب » (متى ١١ : ٢٩) ، فاقام بناية كماله على صخرة الوداعة والتواضع المسيحي . وعرف انّ بناية الكمال لا تقوم شامخة ثابتة الا على هذا الاساس المتين الذي هو ميزة الديانة المسيحية ومصدر جميع الفضائل واصلها . الطهارة الملائكية ، ذاكراً ما قاله القديس برنردس في كلامه عن العذراء مريم : « ان البتولية والتواضع فيها صنوان . كانت نفسها مرضية لله الذي جعل مسرّته فيها ، لان تواضعها اقام وزناً لطهارتها والبتولية تاج الاتضاع وزينته . لست اتورّع عن القول بأنه لولا التواضع ، لما سُرّ الله بطهارة مريم نفسها ، ولو لم تكن مريم متواضعة ، لما اصبحت مستودعاً للروح القدس ، ولو لم يحل فيها ، لما حبلت بالكلمة الالهي . فاتضح اذن انها قبل ان تحبل من الروح القدس ، كما جاهرت هي نفسها : « نظر الله الى تواضع امته » (لوقا ١ : ٤٨) اكثر من نظره الى بتوليتها ، فان ارضت الله بطهارتها ، فهي مع ذلك قد حبلت بتواضعها . والحقيقة اذن ان الله يسرّ بطهارتها ، لاجل تواضعها . القديس برنردس عظته الاولى في التجسد . على ان التواضع لا يعني خسة النفس والجبانة ،

خادم الله نعمة الله الخرديني يصلي

٠٢٦

ضريح خادم الله نعمة الله الحرديني

فالمتواضع الحقيقي ، وان أقرّ بعجزه امام العظمة الالهية وسلك مع القريب مسلك الانس واللطف والوداعة وكان حليماً رؤوفاً ، فهو مع ذلك كبير النفس أبيُّها ، جريٌ لا يلوي عن احقاق الحق والجهر بالفضيلة ومقت الرذيلة . على هذه القاعدة سار رجل الله الحويديني بتواضعه ووداعته مع الجميع . وبالرغم مما كان عليه من مزاج عصبي وأنفة في الطبع ولا سيما مما يعرّض فضيلته الى ادنى عطب او مساس ، فقد عرف ان يذلّل بحكمة التواضع جماح طباعه ويصبها في قالب الحمل الالهي الذبيح ويقيم من ذاته حملاً وديعاً لا يماحك ولا يصيح ، يلاطف الاخوة جميعهم ويعدّ نفسه بينهم آخر الجميع ، راضياً بالاحتقار والاهانة اقتداء بالسيد المسيح القائل : « ليس تلميذ افضل من معلمه ولا عبدٌ من سيده (متى ١٠ : ٢٤) . وفي تقلده الرئاسة كان يزيد في وداعته وتواضعه ، مُضيّقاً على نفسه متساهلاً مع مرؤوسيه متى دعت الظروف ، شرط التقيّد بما تفرضه القوانين ، عاملاً بقول الحكيم : « اذا جعلوك رئيساً فلا تتكبّر بل كن بينهم كواحد منهم (سي ٣٢ : ١) .

اما اماتته فلم يكن لها انقطاع ، ولم يكتفِ بالصوم الدائم ولبس المسح وغير ذلك من ضروب الاماتة الخارجية فقط ، بل كان يتعمّد الاماتة الباطنة ايضاً ، مضحياً بارادته واحكامه الذاتية ، مستسلماً لارادة الله في كل حال : في الحياة والموت في الصحة والمرض على السواء . يخوض غمار المعامع والبلايا جندياً باسلاً لا يهاب ولا يجزع فيخرج من المعارك ظافراً .

كلّفه مرة المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد بفضّ خلاف في تنورين ، فنزل في دار الشيخ فارس طربيه واضطرّ بوقته ان يغسل بيده المسح الذي كان يلبسه ، فعلم صاحب الدار بذلك وقدّره قدره ، فرجاه رجل الله بكتمان السرّ . وكان معتصماً بفضيلة الصبر في جهاده وامراضه المسببة عن مكثه الطويل في بيت الله وامساكه عن الطعام وتحمل البرد القارس في الشتاء ، ما عدا توارض الكلام من بعض الثقلاء المستخفين بطريقته . قيل ان شقيقه الاب الياشع حبيس دير مار مارون عنايا ، كان يلح عليه ويدعوه الى دخول الحبسة ليكون واياه في سلام وطمأنينة ، فيجيبه قائلاً : « يجب ان نعيش بين جمهور الاخوة في الاديار ونحتمل بصبر وثبات ، ما يلحقنا من الهزء والاحتقار . بهذا يزداد اجرنا وتكثر

عن آثامنا ونعمل بقول الرب من يصبر الى المنتهى يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) وبصبركم تقتنون نفوسكم (لوقا ٢١ : ١٩) .

رجل الصلاة والتأمل

لقد أصغى رجل الله الى آية الحكيم الذهبية : « لما علمت باني لا اكون عفيفاً ان لم يهبني الله العفة ، توجهت الى الله وسألته من كل قلبي » (حكمة ٨ : ٢١). فصوناً لطهارته الممتازة كان يصل ليله بنهاره في الصلاة الى الله والتعبد لامه العذراء . كنت تراه يرتفع بقلبه وعقله الى العلاء نافذاً حجب الغيوم وعالم النجوم ، ضارعاً الى العلي ليسند ضعفه في الحرب الروحية ، فيهتف مع المرنم : « اليك رفعت عيني يا ساكن السماوات ! .. كما ان عيني الامة الى يد سيدتها كذلك عيوننا الى الرب الهنا ... » (مزمور ١٢٢ : ١ و ٢) . وهي الطلبة التي يتلوها الكاهن كل يوم في القداس قبل رفعة الكأس .

وكان كالنسر يحلق في سماء القداسة بجناحي الصلاة اللفظية والعقلية مستغرقاً في اوقيانوس العزة الالهية ، متعمقاً بحقائق الديانة المسيحية وعواقب الانسان الاربع فتصغر في عينه الدنيا وما فيها من اباطيل ، فيزداد اتحاداً بالله وينال من جودته تعالى جميع النعم اللازمة للقيام بواجباته الرهبانية والكهنوتية حق القيام ، على الرغم مما كان فيه من ضعف وهزال مسبب عن مرض المعدة الدائم . وفضلاً عما كان يمارسه من صلوات فردية ، كان لا ينقطع عن مشاركة الجمهور في صلوات الخورس حتى في نصف الليل ، كما كانت العادة في الرهبانية . ويمكن القول بان خلاصة حياته كانت سلسلة صلوات متواصلة الحلقات . اذا دخل المعبد اشرق محياه مسرة وغبطة وغاص في بحر التأمل بالرب . ينوع حبيبه في سر القربان الاقدس يصرف امامه الساعات الطوال ومن ينبوعه الفياض يستقي جميع الفضائل ولا سيما التواضع والصبر والفقر بالروح الذي امتاز به كما تفوق بطاعته وعفافه . كان الفقر أليفه وسميره ، لا يعلق بشيء من حطام الدنيا ولا يختار لنفسه من كسوة وقوت وفراش الا الادنى في الدير ، شرط ان يكون نظيفاً على مثال القديس برنردوس الذي كان يرضى بالثوب المرقع النظيف . واذا انتقل من دير الى دير آخر لا يأخذ معه حتى قلماً من قصب للكتابة دون اذن الرئيس ،

كما حدث له مرة بعد خروجه من دير قزحيا. وما وصل ليده شيء من صدقات المحسنين، او حصل بتعبه شيئاً الا سلّمه الى وكيل الخرج في الدير. ومن دخل قلّيته رأى البساطة والفقر سائدين فيها.

ورغماً عمّا كان عليه من مرض المعدة، استمر محافظاً على العيشة المشتركة فلا يتناول من الطعام الا ما كان معدّاً لجمهور الدير. وكثيراً ما كان يتناوله باردا اذ كان يصوم باذن الرؤساء، حتى الظهر وكان الرهبان قديماً لا يتناولون سوى وقتين في النهار اي الساعة العاشرة قبل الظهر والخامسة بعده.

وكان مبالغاً في تجرده عن الاهل والانسباء. منصرفاً الى خدمة ربه ورهبانيته ولم يدخل بيت والديه، مدة حياته الرهبانية، سوى مرة واحدة وكان رفيقه الاب نعمة الله الكفري. وقريته حردين لا تبعد كثيراً عن دير سكناه مار قبريانوس كفيفان. كانت والدته قدمت له منديل يد، فلم يحتفظ به بل دفعه الى رفيقه، كي لا يكون بين يديه ما يحمله على التفكر بالاهل والبيت — وقد مارس هذا التجرد التام عن العالم، أخذاً بقول صاحب الاقتداء: « كلما سرت الى الناس، عدت من بينهم اقلّ ما كنت عليه من انسانية » (الاقتداء سفر اول فصل ٢٠). وكان يقول: « الراهب في ديره ملك في قصره، دولته رهبانيته وجنوده اخوته الرهبان ومجده فضيلته وقداسته وتاجه تواضعه وطهارته وبرفيره فقره وطاعته »... أكرم بها من حِكَم سامية واقوال غضّجدية املاها عليه الروح القدس الحالّ فيه. فهنيئاً لمن يفكر فيها ويعمل بها!.

الكاهن

بعد ان اكمل الاخ نعمة الله درس اللاهوت وأدّى عنه فحصاً نال به تناء فاحصيه، ارتقى درجة الكهنوت المقدسة في ٢٥ كانون الاول (١٨٣٣)، عيد ميلاد الرب بالجسد فكان ذلك اسعد فأل لولادته الكهنوتية وله من العمر خمس وعشرون سنة. وتم ذلك بوضع يد المطران ثيمان زوين النائب البطريركي على عهد المثلث الرحمة البطريرك يوسف الحبيشي (١٨٢٣—١٨٤٥).

١٠ رقي الدرجة المقدسة حتى أخذ يزداد ارتقاء في سلم الكمال والقداسة ، عالماً ان سمو هذه الدرجة التي ترزح تحتها مناكب الملائكة ، تستلزم الارتقاء والتقدم في الفضيلة . وانه لو لم تنتدبه السلطة لها لما اقدم عليها ، بل آثر ان يكون في مصاف الرهبان الاخوة مكتفياً بحظ مرتا لانه اتى الرهبانية ليخدم لا ليُخدم ولما لم يكن له مجال فسيح ليقوم بكل ما تقتضيه النيرة الكهنوتية ، اقتصر ، بحسب حالته وطريقته ، على تكميل نفسه والجماعة التي كان يتم بينهم ، بل كان بمثله الصالح وشهرة قداسته رسولاً يبشر بالمسيح كل من عرفه او سمع بسيرته في جميع انحاء الجبل . وكم كان يتمنى لو اراده الله ان يكون شهيداً يسفك دمه في حب المسيح .

وقد علم ان الذبيحة الالهية التي يقدمها كل يوم انما هي ذبيحة الصليب الدموية التي قدمها الفادي الالهي على جبل الجلجلة لما فيها من الاثار والمفاعيل غير المتناهية ، فلم يكن يقدم عليها إلا بعد ان يستعد لها الاستعداد الذي تستحقه . يقوم نصف الليل الى تلاوة صلاة الفرض على الخورس مع الجمهور كما أسلفنا ، ثم يحضر جميع قداديس اخوته الآباء الكهنة ، ويصرف ساعات امام القربان المقدس بالتأمل والقراءة الروحية ، ثم يعترف بخطاياه ، ولو لم يكن عليه مادة ضرورية ، لانه يعتبر ان الاعتراف فعل اتضاع عميق يسر به الله تعالى ، وبه يمارس المعترف افعال الفضائل الالهية : الايمان والرجاء والمحبة . وقد اتخذها خطة سار عليها مدة حياته الكهنوتية . واذا تبرم مرشده من سماع اعترافه كل يوم ، كان يقف امامه متذللاً باكياً ليسمح ويسمع له .

كنت تخاله وهو على المذبح ، منخطف الروح . عقله وقلبه في الحمل الذبيح بين يديه . تلوح على جبينه امارات الفرح والخشوع . وتر الساعة وهو على حرارة ايمانه الحيّ ومحبته ليسوع القربان والمقرب الاول ، فلا يدانيه فتور او ملل واذا انتهى من القداس صرف ما بقي من الوقت بالشكران يناجي ضيف الكريم باصدق عواطف الحب مردداً افعال السجود والشكر والتكفير والطلب ثمار الذبيحة الالهية . وقد لازم خطته هذه مدة كهنوته خمساً وعشرين سنة

تما كان يهمل اعمال النيرة على خلاص النفوس ، رغم رغبته في الخفر والانحباس في الدير . فانه كان يسعى في تنشيط الجميع الى عبادة الله عبادة

صحيحة ، ناهضين عنهم غبار الفتور والتواني . متمسكين بالتقوى الحسنة والقيام بالواجب حفاظاً على نفوسهم المشتراة بدم المسيح . وكلما سنحت له فرصة ومكنته الظروف كان يجمع السذج والاولاد ويشربهم روح الفضيلة ويلقنهم قواعد الدين بالتعليم المسيحي ويهديهم طريق الخلاص .

ومن آثار غيرته في نشر عبادة قلب يسوع الاقدس ، تحريضه الجميع على الاشتراك فيها ، ناشراً اياها في الاديار بين اخوته الرهبان وفي الخارج بين العلمانيين وهي العبادة التي كانت تدفعه الى التعبد لسر القربان الاقدس ، وتوجيه جميع عواطف قلبه واشواقه اليه ، والسجود امامه ليل نهار ، كما ذكرنا . ومن تعبده لقلب يسوع الاقدس حصل على فضيلة الاتحاد العجيب بالله تعالى اتحاداً لم تصدّه عنه الاشغال الزمنية أية كانت بحيث كان ينوي توجيهها لمجد الله عزّ وجل . فمَن رأى سكونه وصمته وسمع تنهداته وزفراته ، عرف في الحال ان قلبه وفكره في السماء . ولهذا كان متفرداً في اتقان الحياة الباطنية .

اكرامه وعبادته لسيدتنا مريم العذراء

لما علم ان مريم العذراء ام الحمل الالهي هي ام الاطهار وشفيعتهم وانها الطريق السوي المؤدي الى الاتحاد بابنها يسوع المسيح ، أخذ يجدّ في طلب شفاعتها ويبالغ في اكرامها وكانت محبته لها دونها محبة الابن لامه . لم يفتر من التحدث بذكرها والتلفظ باسمها الكريم . ومتى دهمته تجربة ، هرع اليها طالباً شفاعتها ، صارخاً : « يا عذراء ساعديني » . ولم ينفك عن الشخوص الى ايقوناتها المقدسة ، متنفساً الصعداء كأنه يود الخروج من الجسد ليرتع برؤيتها السعيدة في دار الخلود . وما دخل قلّيته مرةً او خرج منها ، الا جثا امام ايقونتها المعلقة في الحائط وحياها بالسلام ، مكبراً فيها ، على الخصوص ، الحبل بها البريء من الدنس ، حتى قبل تحديد هذه العقيدة . فاحبت البتول ان تجازيه على اكرامه هذا بان نقلته اليها أثر الاحتفال بعيد الحبل بها بريئة من وصمة الخطيئة الاصلية . وكان يخصّ الكثيرين على عبادتها ولا سيما على الاشتراك في اخوية قلبها الاقدس واخوية الحبل بلا دنس .

وقد انشأ هذه الاخويات في ادبرة الرهبانية بموجب الاذن المعطى له . يتلو ورديتها كل يوم ، منفرداً او مع رفيق يساعده ويغوص في التأمل باسرارها. ولم يهمل الاشتراك في ثوب سيدة الكرمل ويرغب كل الرغبة في مطالعة كتاب « امجاد مريم » للقديس ليكوري ، جاعلاً اياه سميره يذوق بمطالعته طعم العسل ويضعه قرب وسادته ليل نهار . وكثيراً ما كان يردد هذه العبارة التي لازمته حتى النفس الاخير : « فليكن مباركاً الجيل بسيدتنا مريم العذراء البري. من دنس الخطيئة الاصلية ». مشيراً باقوال اعاظم القديسين ، كالقديس فرام: « انت بريئة من العيب خالية من الدنس ، منزهة عن وصمة اية خطيئة على الاطلاق. ان نورك ابهى من الشمس والقمر وكواكب الرقيع ، لان انوار هذه تغرب ، أما نورك فهو مشرق الى الابد . انتِ اعلى من السماء واسمى من الكاروبيم وارفع من السارافيم . كل اتكالنا عليكِ ، ايتها الكلية نقاوتها » . وقوله المشهور : « فلتصرخ عظامي من القبر ان مريم هي والدة الاله ، وان خامري ريب في ذلك فلتلتهم النيران عظامي » .

والقديس ايرونيموس : « لو تحولت اعضاؤنا جميعها الى السنة ، لما امكننا ان نفيها حقها من المديح. فاني مهما قلت فيك ابقى مقصراً ، ان قلت انك اعلى من السماء. وانك ام القبائل وسلطانة الملائكة وصورة الله ، فتلك القاب قاصرة عن مدحك »

بمثل هذه المدائح اللذيذة كان يتغنى ذلك الموسيقار الروحاني ، معلناً عظم محبته وتعلقه الشديد بامه البتول الكلية القداسة ، يتمثلها كما ظهرت ليوحنا الحبيب ، ملتحفة بالشمس تحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً » (رؤيا ١٢ : ١). واكراماً لها لم يكن يقتات ايام السبوت وبيرمونات اعيادها وفي الشهر المريمي بكامله ، الا بالزيت والملح وبعض البقول . وكانت هذه الامور الروحية تشدده في جهاده وتعزيه في محنه وامراضه وتنصره في معارك الطهارة وفي جميع ما ينتابه من التجارب .

المدبر والرئيس

لقد شاء الله ان يلقي على عاتق خادمه مسؤولية الرئاسة والمديرية ، اذ اراده ان يكون السراج المضيء على منارة ليرى الجميع نوره . فانه ، رغم فراره من الوظيفة ، أبى عليه اخوته الرهبان الا ان ينتخبوه مديراً في ثلاثة مجامع اي مدة تسع سنوات لكي يرتشدوا بآرائه ويجعلوه مثلاً حياً امامهم . فلم يرَ بدّاً من الانصياع لامر الله المنفذ اليه بامر الطاعة المقدسة ، سائلاً الرب نعمة خاصة للقيام باعباء الوظيفة . ومما ساعده على قبولها كونها وسيلة لانعاش روح الكمال والمحبة بين اخوته ، كما كانوا يرغبون ، لما يرون فيه من الغيرة على حفظ النظام والمفاداة في سبيل المصلحة الرهبانية .

على انه بتواضعه كان يفرّ من كل ثناء ومديح بشري . واذا خاطبه احد بامر الرئاسة العامة وانه سينتخب لها لما يُرجى منه من الخير والنجاح للرهبانية ، امتعض وقال : « الموت ولا الوظيفة » ، لشعوره بتبعاتها الجسام . واذا قيل له ان الله يريده لاجل خير الرهبانية ، اجاب : « كلا بل مشيئته تعالى وارادة والدته الطوباوية ، ان لا اصير رئيساً » . وان قالوا له : كيف تعلم ذلك ؟ اجاب على الفور : « ان البتول مريم قالت لي » .

وما كان ينظر الى ما في الوظيفة من شرف بقدر ما كان ينظر الى انها خدمة يتعاناها الصحيح ، يؤديها بكل ما فيه من غيرة ونشاط وامانة . يبدي رأيه بما توحيه اليه الحكمة الالهية ويسير بجميع تصرفاته بحسب نص القوانين من دون محاباة ومراعاة ، متنزهاً عن كل غرض وميل بشري ، هدفه واحد لا يحيد عنه : « الله والرهبانية » . يعمل بالمساواة بين الجميع ويغار على خير مرؤوسيه بروح المحبة والفطنة .

على هذه الخطة سار في السنوات الست التي تقلد فيها رئاسة دير مار قبريانوس كفيفان وادارة المدرسة الرهبانية فيه ، يعنى بتهذيب النشء الرهباني على سنن الفضيلة والعلم الصحيح . يحرضّ تلاميذه على الجد والنشاط والاخلاص بحق ربهم ورهبانيتهم ، ويسير امامهم منكباً على المطالعة والدرس ولا سيما

اللاهوت الادبي الذي امتاز فيه كما مهر بالحياة الروحية مستنيرًا بالهام الروح القدس . لا ينبي عن بذل النصح لتلاميذه بان يقرنوا العلم بالفضيلة الراسخة والا كان وبالًا على صاحبه وعلى الرهبانية والكنيسة كما يثبته التاريخ — ويوصي الجميع بالمحافظة على الوقت الثمين وبمكافحة البطالة مصيدة ابليس . ولم يكن هو نفسه يدع برهة تمرّ من دون عمل . فكنت تراه اذا انتهى من الصلاة والمطالعة ، هرع الى القيام ببعض الخدم الديرية المفيدة. وكان قد اتقن مهنة تجليد الكتب ، يقوم بها حتى وهو في وظيفة المدبرية. وما يحصله منها يقدمه للرئيس ليصرف في مصلحة الجمهور . وبما انه كان يعظ بمثله اكثر من كلامه ، فينقاد اليه المرؤوسون بملء الرضى والاختيار .

وما عتم ان طارت سمعة تقواه في البلاد وانتشرت قداسة سيرته انتشار أريج البنفسجة المختبئة. فتنسم شذاها جماهير الرهبان ، كما شدا بذكرها العالمون في اكثر الانحاء. حتى كان يضرب بها المثل ليس عند الرهبان فحسب ، بل عند العامة ايضاً ؛ فكانوا ، اذا ارادوا تبيان فضيلة احدهم ، قالوا : « انه مثل الخرديني » .

ولا عجب بعد هذه السيرة الملائكية ان يكون الله علام الخفايا ، قد أشرك صفيه هذا في شيء من معرفة الغيب والعلم بما كان وشيك الوقوع من حوادث الايام والمخاطر كما رواه المشاهدون ومنهم الاب نعمة الله الكفري الذي عايشه وسبر غوره ووضع الاساس لترجمته[1] وهو ثقة في ما رواه لما تحلّى به من تقوى راسخة وضمير حي ، قال : « انه ، بينما كان ذات يوم ، مشتغلًا بتجليد الكتب ، اذا بعاصفة هوجاء تهب منذرةً بضرر جسيم . فما شعر بها حتى هم لساعته ونادى احد الاخوة : أن اذهب حالًا وقل لوكيل الحقل ليخرج الابقار من الحارة قبالة الدير » . فضحك منه الاخ ولم يعبأ بقوله . فصرخ به عندئذ وشدّد عليه الامر والا وقع ما لا تحمد عقباه ، فعندها امتثل الاخ الامر وما ان اخرجوا الابقار من القبر حيث كانت ، حتى انهار من اساسه. فزادت ثقتهم برجل الله واحترامهم شخصه المبجل واوامره وآراءه الصائبة » .

---

١) المشرق ٥ (١٩٠٢) صفحة ٦٠٥

وفاته وشفاعته لدى الله

ولما رأى الله ان عبده قد نضج واصبح ثمرةً دانية القطوف ، اراد ان ينقله من دار الشقاء وساحة الجهاد ليكلله بالاكليل الذي وعد به مجاهديه الظافرين. ففي اوائل شهر كانون الاول من السنة ١٨٥٨ اصيب الاب نعمة الله وهو في كفيفان بدا. ذات الجنب المؤلم واشتد المرض عليه فاضطرّ ان يلازم الفراش ، ثم انتابته ادوار الحمّى الشديدة وعجز الاطباء عن شفائه. ولما احس بان اجله قريب ، اخذ يستعد للملاقاة ربه وطلب الاسرار المقدسة . وكان جمهور من الآباء والاخوة حاضرين وفاتيه ومنهم تلميذه الاب شربل مخلوف والابوان نعمة الله الكفري ودانيال البشراوي مرشده . وكان جميعهم متأثرين متعجبين مما رأوه في هذا الرجل البار من طمأنينة القلب وصفاء النفس ، ما لا يشعر به في حشرجة الموت وسكراته ، غير اصفياء الله الابرار. ولما اشتدت وطأة الحمّى وغاب عن وعيه ، سمعه الحاضرون يكرر صلاته المعتادة : « فليكن مباركاً الحبل بسيدتنا مريم العذراء البري. من الدنس ». وكان ، اذا ثابت اليه نفسه ، التفت الى ايقونتها امامه ، ملتمساً شفاعتها حتى اسلم الروح وهو يقول والابتسامة تعلو ثغره : « بالسلام ارقد وانام. يا يسوع ومريم ومار يوسف ، بين ايديكم استودع روحي ». فتسلمت البتول روحه الطاهرة في ١٤ من شهر كانون الاول ١٨٥٨ نصف ليل الثلثاء بعهد رئاسة الاب لورنسيوس الشبابي العامة على الرهبانية ورئاسة الاب نعمة الله التولاوي على الدير المذكور . فعمّ الاسف الجميع على هذه الخسارة الجسيمة وعلى انحجاب ذلك الوجه النبيل وكوكب الفضيلة الساطع في سما. الرهبانية اللبنانية التي استضاءت بنوره مدة ثلاثين سنة وقد فاخرت وما تزال تفاخر بفضائله النادرة .

روحانيته

يحلو لنا الآن ان نتنقل ، ولو قليلاً ، في مطاوي تلك النفس الجميلة وان نسبر غور تلك الشخصية الممتازة ، ما استطعنا اليه سبيلاً ، مكررين أسفنا على

ان لا يكون لدينا معلومات مسهبة عن اطوار حياة رجل الله هذا. وكم كنا نتمنى لو اقدم هو نفسه على كتابة سيرته ، وابقى لنا أثرًا من مراسلاته وان قليلة نادرة ! فاكتفينا بسرد حياته قائلين مع الشاعر :

« والنفس راغبة اذا رغّبتها واذا تردُّ الى قليل تقنعُ »

حسبنا ان نرى تلك الشخصية الفذّة ، وقد لبست الوقار وشاحاً واتخذت النعمة سلاحاً ، تسير بقدم الجبار ، شوطها في الحياة ، معتكفةً على اجلّ الاعمال واسماها ، متحدةً بالله الذي منه كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة (يعقوب ١ : ١٧). كانت البساطة في العظمة والصمت الناطق بكلمة الحق وجمال الفضيلة. نفسٌ كبيرة وثّابة الى العلاء ، صغُرت في عينها الدنيا فطارت بجناحي الايمان والمحبة بيسوع ربها وحبيبها ، اتخذته في سر الافخارستيا محبّها وسميرها . ارادة مرهفة اعتصمت بالرجاء. واستهدفت الخير الاسمى لا تقف بوجهها مصاعب وعقبات.

ان الرهبانية كانت تجوز في تلك الحقبة من الزمان ، أحرجَ الظروف مما لا يساعد على الدقة في حفظ القوانين والحياة النظامية ، لما طرأ عليها من التراخي وما تسرّب اليها من عادات تنافي غايتها. ولذلك كان رجل الله الحرديني يقف في وسط تلك المصاعب وقفة الجندي الباسل ، مثابرًا على خطته القانونية بكل دقة وحزم ، يشجع كل اخوته على اقتحام الصعوبات واحتمال المحن موجهاً اليهم كلامه المشهور : في مثل هذه الظروف والاحوال ، « الشاطر يخلّص نفسه » . وهو يعني بذلك ان الراهب العاقل النشيط صاحب الارادة ومعها النعمة ، لا ينثني عن حفظ قوانينه ولا يرجع القهقرى مهما كانت الظروف. وعليه ان يمرّ بما يراه من خلل ، مرَّ الكرام .

ان المثلث الرحمة السيد فريديانو جيانيني القاصد الرسولي آنذاك ، وهو من رجال الكنيسة العلماء المفكرين ، عندما وقف على هذه الميزة في حياة الاب الحرديني ونظر في مَلفّ دعواه ، قال : « حسب هذا الراهب قداسةً أن يكون

حفظ قوانينه ، على رغم ما كان يحيق به من المصاعب » . ولما عرف بوفاته المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد وهو من اعاظم بطاركة الطائفة المارونية ، قال : « بالحقيقة هـذا الرجل ترهب كما ينبغي فهنيئاً له » . انه لكلام بليغ يتضمن ، على ايجازه ، اسمى معاني الكمال الرهباني .

اليك ما قاله فيـه الاب ميتر اليسوعي ، رحمه الله ، اذ كان مدير المعهد الاكليريكي الشرقي في جامعة القديس يوسف — بيروت — وهو من الآباء المشهود لهم بالعلم والتقوى. وقد جاء دير مار قبريانوس كفيفان وطلب ان يزور ضريح الحرديني ، لما كان يسمع عنه . وما ان دخل المعبد الخاص ووقع نظره على ذلك الجثمان الراقد في صندوق من خشب الاينوس[1] ، حتى جثا هو ومن معه واخذ يصلي خاشعاً متأثراً . ثم سأل : ماذا كانت سيرة هذا الراهب وما هي اعماله الممتازة ؟ — فأجيب انه كان مثابراً على حفظ قوانينه بكل دقة . فقال : كفى انه لقديس حقاً لان قداسة الراهب قائمة بحفظه القوانين ». وهذا رأي علماء الروح بهذا الشأن .

أمّا مئات الخوارق والمعجزات التي جرت حول ذلك الضريح واهمها شفاء اعمى وكسيح مقعد في جهات المتن ؛ فقد دوّن بعضهـا معاصره وسميره الاب نعمة الله الكفري المار ذكره وهو رجل ثقة لما تحلّى به من دقة النظر والضمير الحي . واذ كان رئيساً عاماً علّق عـلى روزنامة الدير او سجل العجائب هذه العبارة بنصها الحرفي :

« انا المدوّن اسمي بذيله ، كاتب حياة الطيب الذكر الاب نعمة الله الحرديني ، اشهد امام الله والناس اني لم اكتب شيئاً فوق ما عرفته عن هذا الرجل الفاضل ،

---

١) هو الصندوق الذي قدمه المغفور له الطيب جورج شكر الله الذي كان معجباً بالاب الحرديني وبالاشفية العديدة الغريبة التي كانت تجري حول ضريحه . وقـد خبر الامر هذا الطيب بنفسه .

بذاتي او ما سمعته من اناس صادقين عاينوا وشاهدوا ما قالوه لي . هذا وبعد مراجعة ما كتبته وتمعنت فيه مليا قد مضيته بخط يدي وسهرته بختم وظيفتي لاجل البيان والمصادقة . واذكر ايضاً ان راهبنا الاب روفايل البزعوني الذي كان حاضراً ساعة موته ، قال لي انه شاهد ، وقت انفصال نفسه البارة عن جسمه الطاهر ، شيئاً من النور البهج خرج من فمه . وهكذا انقطع خيط حياته المقدسة » .

تحريراً في ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٦

(الختم) كاتبه

نعمة الله الكفري

اب عام لبناني

حول الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية

بقلم شمعون شيلمان

كانت هذه المجموعة الضخمة للامم ذات الثقافة العربية ، التي تمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج الفارسي ، مسرحاً لنشاط دائب ، قام به دعاة القرائين لا سيما في الفترة بين القرنين الثامن والثاني عشر للميلاد ، وترتب عليه دخول أفواج كثيرة في مذهبهم . ولكن ما يكاد القرن الثالث عشر يستهل حتى نشهد هبوطاً في الحياة الروحية لدى هؤلاء القرائين هنا وهناك ، وتضاؤلاً سريعاً في عدد أبنائه هذه الطائفة ، حتى وصل الامر في ايامنا الحاضرة الى انه لم يبق في البلاد العربية من هذه الطائفة الا مجموعتان احداهما في القاهرة والاخرى في « هيت » بالعراق .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان تعاليم المذهب القرائي وتطوره وانتشاره لم تحظ الى الآن الا بدراسات ضيقة غير كافية ، لا سيما ما يتعلق بالحالة الاجتماعية ، اذا استثنينا بعض ملاحظات عابرة ساقتها المصادفات البحتة . وهكذا نتبين لاول وهلة ان دراسة الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية ما زال ميداناً لم يطرقه احد من الباحثين ، رغم ما يمكن أن يتم فيه من دراسات مقارنة على اكبر جانب من الاهمية ، لدينا من وسائلها وموادها الاولية قدر غزير جداً . وهنا ينبغي بدون أي شك ان نذكر في الطليعة الكشف الذي تم في عام ١٨٩٦ وعثر فيه على وثائق قديمة ترجع الى القرن الثامن الميلادي ، خلفتها لنا طائفة القرائين في « الفسطاط » من ضواحي القاهرة . وتتضمن هذه الوثائق التي تعرف عادة باسم « مستودع القاهرة » Geniza du Caire نحو مائتي الف قطعة ما زال بعد غير مدروسة ، فيما عدا قدراً ضئيلاً جداً تناولته ابحاث جزئية متفرقة . ومع ذلك فان هذا القدر الضئيل الذي نشر كاف لاعطائنا فكرة عن غزارة المادة

التي تحويها هذه المخطوطات[1] .

وقد اتيح لنا اننا، ابحاثنا ودراساتنا ان نجمع من المعلومات ما يكفي لتصور ما كانت عليه الحياة الاجتماعية للقرّائيين في الاقطار العربية ، في تلك الازمان السحيقة . اما فيما يتعلق بوقتنا الحاضر ، فقد قمنا بزيارة لطائفة القرّائين بالقاهرة ، وسندلي ههنا ببعض ملاحظاتنا في هذا الصدد .

ولما كانت طوائف القرّائين التي بقيت الى وقتنا هذا حضرية قحة ، اي تسكن المدن فحسب ، فان دراسة اجتماعية مقارنة تقضي بمراعاة ذلك منذ البداية. اي ان بحثنا سيقتصر على المدن ولن يمتد ابدًا الى الأرياف . ونحن نعرف مبلغ الفرق في مجتمعات الشرق الأدنى بين حياة القرى وحياة تلك الحواضر الكبرى المتأثرة بالتيار الاوربي .

هذا ، وطائفة القرّائين بالقاهرة كثيرة العدد نسبيًا اذ يبلغ اعضاؤها نحو ثلاثة آلاف وان كان هذا الرقم تقريبيًا نظرًا لان الاحصاء الدقيق ما يزال يعوزنا الى الآن .

وتتكون هذه الطائفة على وجه العموم من صغار ارباب الحرف على اختلافها. ففيهم النجّارون والنسّاجون والخيّاطون ، كما ان بينهم عددًا لا بأس به يشتغل بالصياغة او الحفر او الترصيع. وهناك طبقة وسطى قليلة العدد تتألف من الصنّاع ميسوري الحال — (اكثرهم جوهريون) — ومن التجّار. يلي هؤلاء عدد اقل من التجار الاغنياء. ومن ملّاكي العقارات او الاراضي ، ثم بعض موظفي المكاتب . ويأتي في النهاية عدد يقارب العشرة من ارباب المهن الحرّة : من اطباء ، واطباء اسنان ، وصيادلة ، ومحامين ، ومهندسين. وهكذا نجد في داخل هذه الاقلية من القرّائين كل الفئات الاجتماعية المعروفة في المدن الكبرى . وكما هو الحال في جميع انحاء الشرق ، نلاحظ لدى القرّائين فرقًا شاسعًا بين طبقة الملّاكين وبين غير

---

١) الوثائق التي تتكون منها هذه المجموعة موزعة في مكتبات العالم اجمع ، واهمها موجود في مكتبة جامعة كامبردج وفي المكتبة العامة لمدينة لينجراد . راجع في هذا الصدد :
P. Kahle : *The Cairo Geniza* ; Londres, 1947.

وارجع ايضًا الى مقال :
Sur la Geniza du Caire : *Vetus Testamentum* — Vol. III, 1953, p. 411-413.

الملّاكين. وهذا الفرق يتضح لاول وهلة في نوع الاحياء التي يسكنها كل منهم في المدينة. فالطبقات الدنيا والوسطى تسكن في وسط المدينة، في حي « الخرنفش » العتيق، حول « الكنيس » القديم المهجور الى حد كبير، وحول المراكز الادارية للطائفة. اما الطبقات الميسورة فانها تعيش في حي « العبّاسية » الحديث، حيث يجري الآن بناء « كنيس » جديد، او في مصر الجديدة « هليوبوليس »، من ضواحي القاهرة. كما نجد في النهاية بعض عائلات تسكن احياء اخرى.

وتحافظ الطبقة الدنيا والوسطى على تقاليدها الشرقية القديمة وان كان ينبغي ان نذكر ان المظهر الخارجي لحياتها قد تأثر بتيار الحضارة الغربية. اما الطبقات العليا، التي درس كثير من ابنائها في اوربا، فانها تحيا حياة اوربية بشكل ملحوظ. فمثلاً بينما يحافظ ابناء الطبقات الدنيا على الزيّ المحلي الوطني، يلبس الآخرون الملابس الاوربية. اما الطربوش الذي كان الى عهد قريب غطاء الرأس الاجباري للجميع، فانه آخذ الآن في الاختفاء شيئاً فشيئاً.

ويستعمل القرّاءون اللغة العربية، وكلهم تقريباً يعرفون القراءة والكتابة. وتوجد بحي « الخرنفش » مدرسة للطائفة، تشرف هي على ادارتها، وتتلقى اعانة من الحكومة المصرية. وابناء القرائين في هذه المدرسة اقلية ضئيلة بالنسبة للعدد العام من التلاميذ، اما البقية منهم فمعظمهم من المسلمين، وان كانت توجد كذلك نسبة كبيرة من القبط. اما في حي « العباسية » فتوجد دراسة ليلية تعنى بتلقين تعاليم الدين لابناء الطائفة الذين يتعلمون اثناء النهار في المدارس الاخرى. وللطائفة مجلة نصف شهرية تصدر باللغة العربية اسمها « الكليم »، وهي في منتهى البساطة في مظهرها ومحتوياتها، لا تكاد تهتم الا بالشؤون المحلية.

واذا ما حاولنا ان نتبيّن الوضع الاجتماعي للمرأة في طائفة القرائين، لاحظنا اولاً انها اكثر تحرراً من نساء بقية الشعب، غير محجبة على الاطلاق، وان كان رب البيت، حتى في الاسر التي تعيش على النمط الاوربي تماماً، لا يشرك معه زوجته في استقبال قادم الى الزيارة.

ولنترك الآن مدينة القاهرة، هذه العاصمة الكبيرة الشديدة التأثر بالحضارة الاوربية، وننتقل الى داخل العراق، على ضفاف الفرات، الى ذلك البلد الصغير

المسمى « هيت » ، على بعد مائة وسبعين كيلومتراً من بغداد ، حيث لا يزيد عدد السكان على ثلاثة او اربعة آلاف . هنا نلاحظ ان الطائفة القرائية قليلة العدد لا تتجاوز المائتين ، كلهم من ارباب الحرف : حدادون او نحاسون أو مقصدرون او صاغة . ومستوى الثروة بينهم منحط جداً كما انه لا يوجد فيهم من بلغ مستوى اجتماعياً عالياً. وهكذا لم تؤثر عليهم ولم تصل اليهم بعد تيارات الحضارة الغربية ، بل ظلوا محافظين اتم المحافظة ، حريصين على التقاليد والعادات القديمة ، التي لم يَعُدْ لها وجود الا لديهم ، ومن اجل ذلك فهم في رأينا جديرون بدراسة عميقة ، فمثلاً هم ما يزالون يؤدون شعيرة « الغطاس اليومي » على النحو الذي كانت معروفة به لدى قدماء « الايسينيين Esséniens » وهي نوع من الاغتسال الكلي او الغطاس في نهر الفرات مرتين في اليوم للطهارة[1] .

ونحن نعلم ان في دمشق ، وهي مدينة قريبة نسبياً من العراق ، كانت ما تزال توجد في عام ١٨٣١ طائفة من القرائين لا تتجاوز في ذلك التاريخ بضع عشرات . وكان ابناؤها يشتغلون بالزركشة بالذهب على النسيج ويعيشون في فقر مدقع[2] . وفي السنة المذكورة حلّت الطائفة ورحل اعضاؤها الى اسطنبول أو القاهرة ، اما من بقي منهم فقد اندمج شيئاً فشيئاً في طائفة الروم الكاثوليك[3] . واغا اذكرنا ذلك ليتبين لنا ان بعد اندثار القرائين بدمشق تبدو دراسة الطائفة في « هيت » من الناحية الاجتماعية على اكبر جانب من الاهمية ، اذ انها لم تندمج في اي عنصر آخر بل ظلت حافظة لكيانها وتقاليدها القديمة .

---

١) ارجع الى مقالنا :
Une Visite au Caire : *Vetus Testamentum* ; Vol. IV, 1954, pp. 203-204.

٢) U. J. Seetzen, *Reisen durch Syrien, Palästina, Phönicien, die Transjordan-Länder, Arabie Petraea und Unter-Aegypten*, Vol. I, Berlin. 1854, p. 295 ;
H. Petermann, *Reisen im Orient*. Vol. I, Leipzig. 1860, p. 112.

٣) الزيات ؛ المكتبة الشرقية (*Bibliothèque Orientale*) المستخرج من مجلة المشرق ، ١٩٣٨ — ١٩٤٠ المجلد الثالث — بيروت ١٩٤٦ . وارجع ايضاً الى مقالنا :
Teka Bejrucka. : مقالة البولونية في مجموعة *Les « Caraïtica » Syriens* (كراسات بيروت Cahier A., Beyrouth. 1949, p. 181-183, un résumé en français, 197.

ومع ذلك فقد لعبت طائفة دمشق دوراً هاماً في قديم الزمان ، اذ من المرجح ان تكون قد تأثرت بتعاليم « طائفة العهد الجديد Nouvelle Alliance » التي استقرت ردحاً من الدهر على ساحل البحر الميت ، ثم لاذت بعد ذلك بالفرار متخذة من دمشق ملجأ لها مدة ما من الزمن. وعلى ذلك تكون طائفة القرائين في هذا البلد وريثة هذه الطائفة القديمة ، والقائمة على استمرارها فيما بعد . هذا على الأقل هو ما نميل الى افتراضه عند اختبار مخطوطات البحر الميت التي تم العثور عليها حديثاً[1] .

ولنذكر هنا ان طائفة القرائين في دمشق قد انجبت في عهود ازدهارها رجالاً ممتازين في الثقافة والمجتمع ، نذكر منهم « القزاز » الذي كان من بين حكّام المدينة ، والذي نجد عنه عدداً من المعلومات في مخطوطات « مستودع القاهرة » .

وكما سبق ان ذكرنا ، نلاحظ ان القرائين في ايامنا الحاضرة ليسوا الا فضلات من مراكز قرائية كانت في قديم الزمان كثيرة العدد ، ذات طابع ممتاز ، تعيش في انحاء هذا العالم العربي . فمثلاً مركز من مراكز القرائين كان ما يزال موجوداً حتى مستهل القرن الثامن عشر ، وكان يتألف من قوم من سكان جبال الاطلس الافريقية يحترفون الحدادة او الجندية[2] .

هذه المعلومات القليلة تمكننا مع ذلك من تكوين فكرة عن تعدد اشكال الكيان الاجتماعي لدى القرائين التي استعرضنا بعضها الآن وذكرنا

---

١) ارجع الى محاضرتنا : *La Communauté de la Nouvelle Alliance et le Karaïsme* التي قدمت يوم ٢١ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٦ امام المؤتمر السادس عشر لتعهد الدولي لعلم الاجتماع ، في مدينة بون Beaune بساحل الذهب (Côte d'Or) (فرنسا) . وفي نفس المؤتمر قدمت الدراسة الحالية كذلك .

٢) Jean Léon l'Africain : *Africae Descriptio*, IX. lib. absoluta. Lugd. Batav. Apud Elzeviz, 1632, pp. 126-128 وقد نشر النص بالعربية في : *Recueil de Voyages...* بحث باشراف H. Cordier و Ch. Schefer المجلد ١٣ – باريس ١٨٩٦ ص ١٦٣–١٦٤

J. Jouet, *L'Histoire des Religions*, t. IV, Paris, 1710, p. 36.

P. Davity, *Description Générale de l'Afrique*, Paris, 1660, pp. 105, III

بعض وجوه الشبه بينها وبين ما اتصل بها من صور المجتمعات التي كانت او ما تزال على صلة بها . وهذا التعدد في البنية الاجتماعية ليس فيه ما يدهش اذا ما تنبهنا الى تعدد المجموعات البشرية والحضارات المختلفة التي عاشرها القرّاءون في قديم الزمان ، والى ان هؤلاء انفسهم كانوا ينتمون الى جميع الاوساط الاجتماعية من ادنى الطبقات الشعبية الى ارقى ارباب الثقافة والعلم . ونذكر مثلاً احد معتنقي هذا المذهب في القرن العاشر وهو الفيلسوف الكبير داود المقمص الذي وصل الى الرياسة العليا للطائفة بأجمعها[1].

نلاحظ ايضاً ان المذهب القرّائي كان يحترم الخصائص البشرية والثقافية حيثما القت به المقادير ، ويبدو هذا الاحترام بنوع خاص في ترجمة الكتاب المقدس والصلوات المختلفة الى لغات الامم التي يعيش فيها معتنقوه . وهكذا نجد تراجم تركية وروسية وعربية . كما ان الترجمة من العربية كانت غزيرة جداً كما تشيد بذلك وثائق من هذه المكنونات التي عثر عليها في الفسطاط ، ومؤلفات لعلماء من القرّائين الذين كانوا يعيشون في الشرق الادنى في هذه الازمان .

واخيراً فلعل هذه المجالة السريعة عن المذهب القرّائي في العالم العربي ، تدفعنا الى الشعور بضرورة دراسة كاملة ، على يد المختصين في شعب العلم والثقافة على اختلافها . وحسبنا نحن ان نكون قد لفتنا انظارهم الى موضوع هو في الحقيقة جزء متمم للدراسة الاجتماعية العامة للشرق الادنى .

ترجمة الدكتور حسن كامل
المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

---

١) كان داود المقمص من اتباع مذهب ارسطو في الفلسفة والمعتزلة في علم الكلام . وفي القرن التاسع عشر عثر على بقايا من مؤلفات عديدة له اتاحت للباحثين ان يتعرفوا على شخصية هذا المفكر التي كانت مبهمة غاية الابهام الى ذلك الحين .

تعريف عن الكتب

من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية

بقلم فتح الله الصقال المحامي

مطبعة الضاد ، حلب ١٩٥٨ ، قطع ٨ ، صفحة ٣٦٢

هذا كتاب اهداه مؤلفه الى قراء ونصراء مجلة «الكلمة» «لسان حال مشاريع الكلمة الخيرية» . تصفحناه فراقنا ما وجدنا فيه من الفوائد في علم الحقوق واساليب معالجة الدعاوى في المحاكم والكثير منها جرى على ايام الانتداب والقضاء في المحاكم المختلطة . وان في هذه الدعاوى التي بلغ مجموعها ٣٢٠٤ ، (صفحة ٥٨ سطر ١٠) على مدى اربعين عاماً في القطرين الشقيقين المكونة منهما «الجمهورية العربية المتحدة» ، اختار منها المؤلف ما رآه احق افادة للمطالعين بين نكتة طريفة فتنشرها جريدة «الاهرام» تفكهة لقرائها (الحجز على القبر — مشاكل البائنة — السمرة في الزواج — المورفين الخ. صفحة ٣٤ وما بعدها) ومعضلة عويصة خطيرة النتائج السياسية والادبية والاقتصادية (دعوى ابراهيم هنانو صفحة ٧٥ وما بعدها — دعوى رزق الله غزالة... صفحة ١٣٩ — دعاوي وقف العثمانية صفحة ١٩٠) ، وغير ذلك مما تسوغ مطالعته وتفيد وتبقى «ذكرى» لما يرد فيها من اعلام اشخاص كان لهم دورهم في تاريخ البلاد الشرقية عامة والحلبية خاصة» فضلاً عما هناك من استطرادات في الكلام على احوال القضاء كما كانت في العهد الروماني والبيزنطي والعثماني وتطورات الشرائع بمناسبة الظروف المستحدثة وعن تدوين الكتاب اسماء رجال من شرقيين وغربيين يحق لهم ان يذكروا فيشكروا. وهذه الدريهمات التي لا بدّ منها للعيش ويتقاضاها «الصقّال» بالاصفر الرنان فلا يتورّع عن تعدادها طالما عرفنا ما وراء ذلك من بسط اليد في سبيل الخير ، اثابه الله على ما يجود به من ثمر اتعابه في اسعاف ذوي البؤس والحاجة . ونغتنم فرصة الكلام على هدية «الكلمة» لنمدح مطبعة الضاد على جمال طبعها . ف. ت.

على ضوء الانجيل ـ مواعظ وارشادات

بقلم الخوراسقف انطون عقل

مطبعة الآباء اللبنانيين صفحة ٢٢٨ قطع ١٢ ، بيروت ١٩٥٨ .
ثمن النسخة ٥ ليرات لبنانية ، لانشاء ميتم بادارة راهبات القديسة تريزيا

في ١٩٥٨ القى الخوراسقف انطون عقل مؤسس رهبنة القديسة تريزيا المارونية ارشادات الرياضة في رعايا مار مارون ومار انطونيوس وسيدة العطايا في بيروت ، ومار يوسف في حارة حريك ، ومار نهرا في فرن الشباك . وكان احد الاصدقاء يسجل بعض الخطب وكان الواعظ «يرتجلها غالباً» ، فيها العظات المختصرة في شرح التعليم المسيحي — والارشادات للراهبات — وارشادات الرياضة في الحقائق العظمى وغيرها في مواضيع مختلفة وفي العجائب خاصة. وهذه العظات لم يتح للواعظ ان يتبسط بها قبل طبعها ، فظهرت مقتضبة برؤوس اقلام تساعد على التأمل والصلاة . فنشكر لحضرة الخوراسقف اتعابه في حقل الرسالات ونتمنى له عمراً مديداً في خدمة الانفس لمجده تعالى. ف. ت.

KENNETH CRAGG. — *The Call of the Minaret*. In-8° de XVI-376 pp. avec une bibliographie et un index. Oxford University Press. New-York, 1956.

المؤلف بعد ان علّم اللغة العربية والانظمة الاسلامية منذ ١٩٥١ في مؤسسة هارتفورد التعليمية « Hartford Seminary Foundation » انتقل الى القدس ومن هذه المدينة يأتي الى جامعة بيروت الاميركية حيث بصفة معلم مساعد يعطي دروساً في الفلسفة : هذا يكفي ليدلنا على جدارته لاستقصاء موضوع هذا الكتاب اي العلاقات بين الديانة المسيحية والاسلام التي تزداد ارتباطاً من يوم الى يوم. ان الدكتور كراغ هو محرر في مجلة «العالم الاسلامي: Muslim World» وعلى مثال مؤسس هذه الجريدة الغراء. س. م. زويمر يحاول تسهيل معرفة روح الاسلام الديني لمسيحيي الغرب جاهداً في التفتيش عن النقاط التي تلتقي فيها التعاليم الاسلامية والمسيحية نوعاً ما ولو لم تكن مطابقة او متشابهة لبعضها بعض متحاشياً عن سذاجة التوفيق بين الاضداد .

يبدأ المؤلف بعرض موقف الاسلام في عصرنا ثم يدخل في بحثه بتأويل اسم الله الذي به تبتدىء الشهادة او الاقرار بالايمان والدعوة الى الصلاة التي ينشدها المؤذن من أعلى المنارة يأتي بعد ذلك فصل يتكلم عن محمد ثم بحث عن الصلاة وعن حياة الاسلام الدينية واخيراً خلاصته في الغاية الاجتماعية التي يعرضها الاسلام.

الجزء الاخير من الكتاب هو موجه بنوع اخص الى المسيحيين يسعى الى اقناعهم بان المنارة دعوة الى التفاهم ودعوة الى الخدمة مرسلة الى شعوب لم تبلغ بعد بالكفاية نموّها في التهذّب والاقتصاد والفنون. عنوان الفصل العاشر هو: « الدعوة الى التأويل » بل نقول نحن: « دعوة الى عرض المعتقدات المسيحية » وهذا الجزء يبين لنا الاكثر شخصية وفائدة وهو يستند الى كتب مؤلفين كالآباء عبد الجليل ودانييلو ودي لوباك ومثل تمبل غاردنر وبيفن جونس وغيرهم كثيرين غربيّين ومسلمين مذكورة اسماؤهم في قائمة كتب هذا الجزء الاخير. هذه الكتب توعز خصوصاً الى نوع عرض معتقدنا للمسلمين فيما يخص الكتاب المقدس والله والثالوث الاقدس والمسيح والصليب.

يختم الدكتور كراغ كتابه داعياً الى الصبر فانه ضروري من جراء ضيق تخوم روح التساهل في الاسلام خصوصاً عند اهتداء احد اعضائه الى الدين المسيحي ومن جراء ما يوجده في الشرق انقسام المسيحيين من نقصان في الحياة المسيحية.

يوجد اذن في هذا الكتاب مادة وافرة للتفكر الديني والرسالة لذلك قلا شك انه يساعد المسيحيين والمسلمين المخلصين ورجال الدين الذين يقرأونه على التفاهم والزيادة في التعارف وبذلك على اقامة علاقات روحية مفيدة بين الديانة المسيحية والاسلام.

هنري شارل اليسوعي

JACQUES BERQUE. — *Structures Sociales du Haut-Atlas.* In-8° de VIII-370 pp., avec 10 pl. h.-t. et 10 cartes ou figures dans le texte, une bibliographie, un glossaire des termes cités et un index des groupes maghrébins mentionnés. Bibl. de Sociol. contemp., PUF., Paris, 1955.

لم يمكننا الحصول على هذا الكتاب الفاخر للاستاذ الممتاز في كلية فرنسا الا في آخر سنة ١٩٥٧ وذلك بفضل « الدروس المراكشية العالية » فنعتذر اذن لعدم اعطاء بياننا هذا الا في ١٩٥٨.

هذا البحث هو ثمرة حياة دامت سنين عديدة بين قبائل الاطلس الغربي الذي يطلّ على شواطىء البحر المحيط في اعالي اغادير وكان المؤلف قد أعدّه بسلسلة من البحوث العلمية عن المغرب ظهرت بين ١٩٣٨ و ١٩٤٩ . أتمّ المؤلف كتابه في الشرق الادنى فساعده تمرّنهُ على التدقيق بالمقابلة في وصف الانظمة المغربية . يأخذ الاستاذ برك على نفسه ضمانة ما رسمه من وصف انظمة سكساوا لكنه رغماً عن ذلك لم يهمل في ذلك طلب آراء رفقائه الاكثر إلمام في الامور المراكشية : دي لاشابيل ومونتان وسيليريه وتيراس ولاوست وبوسكه ... نكتفي بذكر هذه الاسماء المعروفة الى الآن في الشرق .

لسنا جديرين باعطاء حكم فيكون من جهتنا عن غير معرفة لكن بامكاننا ان نُثني على حسن طريقة عرض « الادلة » وعلى المهارة في جدال العوائد وفي هذا الخصوص الجزء الثالث الذي يبحث عن العلاقات بين الديانة والحق ظهر لنا كمُثلة من نوعه وقد طالعناه بلذة.

بعد ان نتحدّث عن البلاد والرجال وسابق تاريخها بعد ان درس المبادلات بين القوم والبيئة الطبيعية بعد ان وصف باسلوب الانظمة الدينيـة والحقوقية وقيمها يختم الاستاذ برك بتدقيق مدى جنس السكساويين الاجتماعي وادراكه ومحاولة استخلاص الطباع الاصلية بموجب مذهب (chleuh) حيث الاضداد تتساوى . هذه النتائج المختلفة هي بمثابة نقطة انطلاق لبحوث جديدة . ان البحث العلمي المدقّق الذي أعدّه سوف يفيد كل الذين ينصبّون على المشاكل الاجتماعية التي تختص بشعوب دار الاسلام فانها كلها «خاضعة كثيراً او قليلاً للنفوذ الاجنبي وهي ترجع الى حالها القديم بجهد متواصل.. اساليب ضمير متحلب برأيه حيث التصرفات تتجهّز بالاحرى من ان تتوضح ... مُباشرات لا تتفق مع قلة الوسائل الاقتصادية تتميّز بتجاوز الانسانية للطبيعة.

هنري شارل اليسوعي

Ibn Jobair. *Voyages*. Traduits et annotés par Maurice Gaudefroy-Demombynes ; Editions Geuthner. 3 volumes. Paris, 1949-1956.

ابن جبير : «رحلة» . نقلها الى الفرنسية وعلق عليها موريس جودفروا دمامبين ١٩٤٩ — ١٩٥٦

وهذا وجه آخر ناضر ذهب من سنتين الى وجه وبه الاخضر . رحمك الله يا دمامبين ، عنك اخذتُ في جامعة باريس طرائق الاستشراف وعلى يدك حررت بعض رسالتي «العرض عند عرب الجاهلية» ، فما وجدت والله فيك سوى مروءة الاستاذ وانس الملقن . وكم رددتَ من حماسة هذا الشاب الشرقي فسددت الخطا وعلمت الفكر كيف ينفر من الاعوجاج او الشرود والقلم كيف يثبت ويتوغل . ولولا انت ما كنتُ لأحسنَ تمييز الغثّ من السمين اذا عرض لي كتاب من كتب التاريخ العربي ، فحسبك انك بصرتني مواقع الحسن.

تترك الدنيا وقد نظرتَ اليها من طرف ساخر لا يجدّ ولا يلمع الا اذا اقبلتَ على مسائل العلم . وما الطفها وما أغزرها بين يديك : لك في الحج الى بيت الله كتاب مَرجع ، ولك في تاريخ سوريا تحت حكم المماليك سفر قائم ، وفي الاحكام الاسلامية رسالة جامعة ، ثم لك تعليقات وفيعة على صفة افريقية كما جاءت في «مسالك الابصار» — للعمري ، وعلى مقدمة «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ، الى آخر ما سطرت من مقالات في التاريخ خاصة . ثم لك هذه النقول من العربية الى الفرنسية : «ملوك غرناطة» عن ابن خلدون ، «مئة ليلة وليلة» ، «صفة افريقية» ، مقدمة «الشعر والشعراء» ، وعند آخر المطاف هذا الكتاب اللطيف «رحلة ابن جبير» .

للمترجم فضل وفضل : الاول انه يلتزم النص العربي فيستخرج المعنى كله من دون ان يعبث بمجرى الكلام هروباً من الصعب اذا اشكلت الجملة او زاغ العرض تحت تراكم الالفاظ . والثاني انه مع التزامه النص يعرف كيف يدير التعبير الفرنسي برشاقة وحلاوة . فهو في الحالين من امة الناقلين واكثرهم دراية بالعربية وتصرفاً بالفرنسية . وقد تعقبت الترجمة في مواضع ، فما وجدت

خروجاً وما كدت اجد مجانبة للاصل ، وليست المجانبة على اية حال من النقائص بل ربما استدعاها اسلوب اللغة المنقول اليها .

ومما يزيد في قدر الكتاب ان المترجم عقد الهمة على التعليق والتبيين كلما عرض حادث من التاريخ او لمحة من الجغرافيا او لطيفة من الادب او حكم من احكام الدين او لون من الوان المجتمع . وفي هذا يفيض تبحر المترجم ليُيسّر لك مطالب « الرحلة » بما فيها من فوائد وطرائف ، فضلاً عن انك تجد في الهامش بعض روايات أصابها المترجم في مخطوط مبتور لهذه «الرحلة» محفوظ في فاس نُسخ في القرن الرابع عشر او الخامس عشر .

وهذه الترجمة كاملة ، وكانت « الرحلة » قد حظيت من قبل بنقول الى الفرنسية . منها نقل صفة دمشق بقلم Sauvaire سنة ١٨٤٠ ، ثم صفة صقلية بقلم Amari سنة ١٨٤٦ ، ثم بعض صفة سوريا في الجزء الثالث من Historiens des croisades .

بشر فارس

فهارس المشرق

للسنة الثانية والخمسين

١٩٥٨

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الثانية والخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٨

الجزء ١ — (كانون الثاني–شباط) : فكرة اليقين الديني عند الغزالي للاب فريد جبر اللازري (٣–١٩) = تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل تتمه الاب بطرس ساره اللبناني (٢٠–٥٠) = تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير لالبرت يوسف كنعان (٥١–٨٢) = المجمع البلدي (بكركي ١٨٥٦) للاب بولس مسعد (٨٣–١١٤) = الكتب (١١٥–١٢٨).

الجزء ٢ — (آذار – نيسان) : الانسان الكامل وميزته النشوية في الاسلام للويس ماسينيون (١٢٩–١٥٥) = وثائق تاريخية عن حلب ٤ للاب فردينان توتل اليسوعي (١٥٦–١٨٧) – تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل تتمه الاب بطرس ساره اللبناني (١٨٨ – ٢١٩) = شارل لودي : محمد واسرائيل والمسيح للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٢٢٠–٢٣٠) = في ذمة الله : زكي محمد حسن للاستاذ بشر فارس (٢٣١–٢٣٧) = تقوش ثامودية في مصر للاب فان دن برندن (٢٣٨–٢٤١) = الكتب (٢٤٢–٢٥٦).

الجزء ٣ — (ايار – حزيران) : اكتشافات برية جودا للاب بولس موتر اليسوعي (٢٥٧ – ٣١٠) = المحامي العدل او المدعي العام الكنسي للخوري يوسف حتي (٣١١–٣٢١) = تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل تتمه الاب بطرس ساره

اللبناني (٣٢٢–٣٦٠) = قراءة النقوش السينائية للاب فان دن برندن (٣٦١–٤٠٥) = الكتب (٤٠٦–٤١٦).

الجزء ٤–٥ — (تموز–تشرين الاول) : رسالة عمرو بن بحر الجاحظ لشارل بلّا (٤١٧–٤٩١) = تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير لالبرت يوسف كنعان (٤٩٢–٥٣٠) = تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية للاب لويس بليل نشره الاب بطرس ساره اللبناني (٥٣١–٥٦٤) = المجمع البلدي (بكركي ١٨٥٦) للاب بولس مسعد (٥٦٥–٦٠٤) = عندما خلق الارض للاب برنابا بوس كوجوي اليسوعي (٦٠٥–٦١٢) = القول بالطبيعة الواحدة في المسيح للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦١٣–٦١٩) = دار الكتاب اللبناني للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦٢٠–٦٢٢) = الكتب (٦٢٢–٦٤٠).

الجزء ٦ — (تشرين الثاني–كانون الاول) : هل الانشاء اللاواوي عربي محض للاب رفائيل نخله اليسوعي (٦٤١–٦٧٧) = اللحى في الاسلام لحبيب زيّات (٦٧٨–٦٩٥) – وثائق تاريخية عن حلب ٤ للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٩٦–٧٢٢) = خادم الله الاب نعمة الله الحرديني للاب بطرس ساره اللبناني (٧٢٣ – ٧٤٦) = حول الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية لشمون شيشان (٧٤٧ – ٧٥٢) = الكتب (٧٥٣ – ٧٥٨) = فهارس الفهارس (٧٥٩–٧٦٤).

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

برتدن (ا. ڤان دن) : نقوش ثامودية في مصر ٣٣٨ – ٣٦١ = قراءة النقوش السينائية ٣٦١–٤٠٥

بلّا (الاستاذ شارل) : رسالة عمرو بن بحر الجاحظ ٦١٧–٦٩١

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب ٤ ١٥٦–١٨٧ ، ٦٩٦–٧٢٢

جبر (الاب فريد اللازري) : فكرة اليقين الديني عند الغزالي ٣–١٩

حتي (الخوري يوسف) : المحامي العدل او المدعي العام الكنسي ٣١١–٣٢١

خليفه (الاب اغناطيوس عبده اليسوعي) : شارل لودي : محمد واسرائيل والمسيح ٣٢٠–٣٣٠ ، القول بالطبيعة الواحدة في المسيح ٦١٣–٦١٩ ، دار الكتاب اللبناني ٦٢٠–٦٢٢

زيّات (الاستاذ حبيب) : اللحن في الاسلام ٦٧٨–٦٩٥

ساره (الاب بطرس اللبناني) : تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل ٣٠ – ٥٠ ، ١٨٨–٢١٩ ؛ ٣٢٢–٣٦٠ ، ٥٣١–٥٦٤

شيخان (شمعون) : حول الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية ٧٤٢–٧٥٣

فارس (الاستاذ بشر) : في ذمة الله : زكي محمد حسن ٢٣١–٢٣٧

كنعان (الاستاذ البرت يوسف) : نكتة تاريخ الطبري محمد بن جرير ٥١–٨٢ ، ٥٣٠–٦٩٣

كوچوي (الاب برنلاوس اليسوعي) : عندما غطّت الارض ٦٠٥–٦١٢

ماسينيون (الاستاذ لويس) : الانسان الكامل وميزته النورية في الاسلام ١٢٩–١٥٥

مسعد (الاب بولس) : المجمع البلدي – بكركي ١٨٥٦ ٨٣–١١٦ ، ٥٦٥–٦٠٦

موتره (الاب بولس اليسوعي) : اكتشافات برّية جوذا ٢٥٧–٣١٠

نخله (الاب رفائيل اليسوعي) : هل الانشاء اللاواوي عربي محض ٦٦١–٦٧٧

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

ا

ابي نادر (الاب يوسف) : حياة المثلث الرحمة المطران بولس كساب الجزيني ٦٢٧

انبوبا (الاستاذ عادل) : إحياء الجبر — درس لكتاب الخوارزمي في « الجبر والمقابلة » ٦١٦

الحتوني (الخوري منصور) : نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ٦١٦

الحسيني (عبد الرزاق) : تاريخ الوزارات العراقية (الجزآن ٧ و٨) ١١٥

الذنون (الدكتور حسن) : محاضرات في القانون المدني العراقي ٦٢٧

الشهابي (الامير مصطفى) : الاستمار ١١٦

ب

بشير بين السلطان والعزيز ٦٣٣

ت

تانكره (ادولف) : خلاصة التصوف المسيحي ٦٣٢

ح

حديث السائح : رواية حياة القديس اغناطيوس ١١٨

ر

راندال (جون هرمان) : تكوين العقل الحديث ٦٣٠

رستم (الدكتور اسد) : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وعلاقتهم بالعرب ٦٢٨

س

سركيس (خليل رامز) : من لا شيء ٦١٣، صوت الغائب ٦١٥

ص

صفوت (الدكتور محمد مصطفى) : مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية ٦٢٨

صيدح (جورج) : ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ٦١٤

ع

عوا (الدكتور عادل) : منتخبات اسماعيلية ٦٤٢

ك

كرم (الاب واصاف اللبناني) : التفكير الحرّ في سبيل الانسانية والروحانية ١١٥

كوشير (هيلين ج.) : مانيلدا وريدي : نور السجون القتلندية ٦٣١

٢ — مطبوعات اوروبية

B

Béars (P.) : *A la conquête de la mer* 412

C

Crouzel (H.) : *Théologie de l'Image de Dieu chez Origène* 636
Cuttat (J.-A.) : *La rencontre des religions* 243

D

Daniélou (J.) : *Les Saints païens de l'Ancien Testament* 126
Delamarre (M.-J.-Brunhes) : *L'homme et la charrue à travers le monde* 628
Delly (Emmanuel Karim) : *La Théologie d'Élie bar Šénaya* 119
Didier (G.) : *Désintéressement du chrétien* 242

G

Galtier (F. S.J.) : *Code oriental de procédure ecclésiastique* 245
Gouribert (P.) : *Byzance avant l'Islam*, T. II 250
Grandmaison (Léonce de S.J.) : *La personne de Jésus et ses témoins* 120

H

Handricourt (André G.) : *L'homme et la charrue à travers le monde* 628
Histoire des religions 252
Histoire du Commerce de Marseille 411

J

Jalabert (H. S.J.) : *La Sainte Vierge au Liban* 122
Jourjon (M.) : *Saint Augustin parmi nous* 120

L

Lebreton (J.) : *Saint Augustin parmi nous* 120
Lipens (Ph.) : *Expédition en Arabie centrale* 638

M

Mallon (Alexis S.J.) : *Grammaire Copte* 255
Maria : Étude sur la Sainte Vierge T. III, T. IV, 125
Morel (Ch.) : *Saint Augustin parmi nous* 120

N

Nasrallah (Mgr) : *Marie dans la sainte et divine liturgie byzantine* 413

R

Rondet (H.) : *Saint Augustin parmi nous* 120
Ruzicka (R.) : *La question du ŋ dans les langues sémitiques en général et dans la langue ugaritienne en particulier* 256

S

Shor (J. B.) : *Après vous, Marco Polo* 640
Sion (Sœur Marie-Alane de) : *La forteresse Antonia à Jerusalem* 410
Steindorf (G.) : *Lehrbuch der Koptischen Grammatik* 406
Strelcyn (S.) : *Prières magiques éthiopiennes pour délier les charmes* 406
Studii biblici Francescani 255

T

The political Quarterly 409
Tisserant (Cardinal Eugène) : *Recueil* 247
Tyan (Emile) : *Institution de droit public musulman* 634

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثانية والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

اكتشافات برية جودا ٢٥٧
القول بالطبيعة الواحدة في المسيح ٦١٣
المجمع البلدي (كركي ١٨٥٦) ٨٣، ٥٦٥
المحامي العدل ٢١١
الانسان الكامل ومجزاه النشرية في الاسلام ١٣٩
اللحن في الاسلام ٦٢٨

ت

تاريخ الرهبانية السريانية المارونية ٣٠، ١٨٨، ٣٢٢، ٥٣١
تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن جرير ٥١، ٦٩١

ج

حول الكيان الاجتماعي للفرانجيين في البلاد العربية ٧٦٧

د

دار الكتاب البناني ٦٢٠

ر

رسالة عمرو بن بحر الجاحظ ٤١٧

ز

زكي محمد حسن ٢٣١

ش

شارل لودي : محمد واسرائيل والمسيح ٣٣٠

ع

عندما غطى الارض ٦٠٥

ف

فكرة اليقين الديني عند الغزالي ٣

ق

قراءة النقوش السينائية ٣٩١

ن

نقوش ثامودية في مصر ٢٣٨

ه

هل الانشاء اللاواوي عربي محض ٦٢١

و

وثائق تاريخية عن حلب ٤ ١٥٦، ٦٩٦

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquante deuxième année.

1958

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1958

TABLE DES SOMMAIRES

LIIe ANNÉE, 1958

◇

JANVIER - FÉVRIER

La notion de certitude chez al-Ġazālī (p. 3) : *P. Farid Jabre.*

Histoire de l'Ordre libanais (p. 20) : publiée par le *Père Pierre Sara.*

Suite de l'Histoire d'at-Ṭabarī (p. 51) : *Mr Albert J. Kanaan.*

Le Synode de Bkerkè, en 1856 (p. 83) : *Père Paul Mass'ad.*

Les Livres (p. 115).

MARS - AVRIL

L'« homme parfait » en Islam (p. 129) : *Mr Louis Massignon.*

Documents historiques sur Alep 4 (p. 156) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Histoire de l'Ordre Libanais (p. 188) : publiée par le *Père Pierre Sara.*

Charles-J. Ledit : Mahomet, Israël et le Christ (p. 220) : *Père Ign.-A. Khalifé S. J.*

In Memoriam : Zaky Mohammad Hassan (1908-1957) (p. 231) : *Mr Bishr Farès.*

Inscriptions thamoudéennes de l'Égypte (p. 238) : *P. A. van den Branden.*

Les Livres (p. 242).

MAI - JUIN

Les découvertes du désert de Juda (p. 257) : *Père P. Mouterde S. J.*

Le Promoteur de Justice (p. 311) : *P. Joseph Hitti.*

Histoire de l'Ordre libanais (p. 322) : publiée par *le Père Pierre Sara.*

Le déchiffrement des Inscriptions protosinaïtiques (p. 361) : *P. A. van den Branden.*

Les Livres (p. 406).

JUILLET - OCTOBRE

Épitre d'al-Ǧāḥiz (p. 417) : *Mr Charles Pellat.*

Suite de l'Histoire dat-Ṭabarī (p. 492) : *Mr Albert J. Kanaan.*

Histoire de l'Ordre libanais (p. 531) : publiée par *le Père Pierre Sara.*

Le Synode de Bkerké en 1856 (p. 565) : *P. Paul Mass'ad.*

Quand la terre tremble (p. 605) : *Père Barth. Kogoj S. J.*

Le monophysisme de Šam'ūn aṭ-Ṭurānī (p. 613) : *Père Ign.-A. Khalifé S. J.*

La maison du livre libanais (p. 620) : *Père Ign.-A. Khalifé S. J.*

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

Le style privé de la conjonction wāw est-il arabe (p. 641) : *Père Raphaël Nakhla S. J.*

Le port de la barbe en Islam (p. 678) : *Mr Habīb Zayāt* (÷)

Documents historiques sur Alep 4 (p. 696) : *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Le serviteur de Dieu : Némétallah al-Ḥardīni (p. 723) : *Père Pierre Sara.*

Note sur la structure sociale des Karaïtes dans les pays arabes (p. 747) : *M. Simon Szyszman.*

Les livres (p. 753). — Index Généraux (p. 759).